

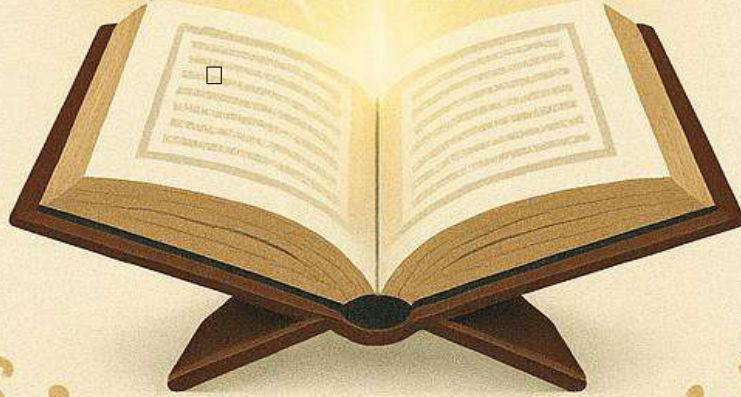
زاد السائر إلى الله عز وجل

مقالات في إصلاح القلوب والثبات على السنة

تأليف

أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

غفر الله له ولوالديه وإخوانه وأزواجه والمسلمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمدده سبحانه حمداً يليق بجلاله وكماله، وأشكره على نعمه الظاهرة والباطنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل صلاح القلوب سبباً للفلاح، وربط النجاة في الدنيا والآخرة بالتمسك بكتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، والداد على كل خير، والمحذر من كل شر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم ما يحتاجه المسلم في هذه الحياة: صلاح قلبه، واستقامة دينه، وثباته على الحق، فإن القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولا يكون صلاح القلب إلا بالتمسك بالوحيين: كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسير على منهج السلف الصالح الذين فهموا الدين فهماً صحيحاً، وطبقوه في حياتهم علماً وعملاً.

وقد كثرت في هذا الزمان الفتن والشبهات، وتسارعت فيه الأيام، وانشغل كثير من الناس بزخارف الدنيا وزينتها، حتى غفل بعضهم عن الغاية التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله عَزَّوَجَلَّ والاستعداد للقاءه. فكان لزاماً على المسلم أن يجدد صلته بربه، وأن يعتني بإصلاح قلبه، وأن يحرص على اغتنام أوقاته فيما ينفعه في دنياه وآخرته.





زاد السائر إلى الله عز وجل

ومن هنا جاءت فكرة جمع هذه المقالات، التي كنت قد نشرت بعضها متفرقاً في الشبكة في أوقات مختلفة، وهي مقالات قصيرة في حجمها، لكنها تدور حول معانٍ عظيمة يحتاجها المسلم في حياته، من تذكيرٍ بالله، وحثٍّ على الطاعة، وترغيبٍ في الثبات على الحق، وتنبهٍ على بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس.

وقد رأيت أن جمعها في مؤلف واحد أنفع للقارئ، وأقرب إلى الانتفاع بها، إذ تكون بين يديه مجموعة من المقالات المتنوعة التي تعالج قضايا الإيمان، وتذكر بحقائق الدنيا والآخرة، وتدل على أسباب الثبات على دين الله عزَّوجلَّ.

وقد قُسمت هذه المقالات في هذا الكتاب إلى عدة أبواب، ليكون ترتيبها أقرب إلى الفائدة وأحسن في العرض.

فجاء الباب الأول في بيان أصول الهداية والثبات على الدين، واشتمل على بيان جملة من مسائل العقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، مع ذكر متنٍ مختصرٍ في الاعتقاد، وبيان أهمية التسليم للوحين، والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتحذير من الجرأة على النصوص، وذكر جملة من الوسائل التي تعين العبد على الثبات على دين الله عزَّوجلَّ.

وأما الباب الثاني فجاء في تزكية القلوب وإصلاح النفوس، وفيه مقالات تتحدث عن غذاء القلب ودوائه، ومراقبة الله عزَّوجلَّ، والتوكل عليه، والرجاء في رحمته، والاعتبار بحقيقة الدنيا، وضرورة تعلق القلب بالقرآن الكريم.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وأما الباب الثالث فجاء في اغتنام الأوقات والمسارة في الطاعات، حيث تذكّر مقالاته بسرعة مرور الأيام، وتحث على اغتنام العمر، والاجتهاد في الطاعات، ولا سيما في المواسم الفاضلة كشهر رمضان والعشر الأواخر منه.

وأما الباب الرابع فقد اشتمل على جملة من المقالات التربوية والتنبيهات المهمة التي تتعلق ببعض القضايا المعاصرة، والتنبيه على بعض الأخطاء، وذكر بعض المواقف والعبر والقدوات التي يستفيد منها المسلم في حياته.

والمقصود من هذه المقالات التذكير والوعظ والإرشاد، لا الاستقصاء ولا التطويل، فإن القلوب تحتاج بين حين وآخر إلى من يذكرها بالله، ويوقظها من غفلتها، ويعيد توجيهها إلى طريق الحق.

وأسأل الله الكريم أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلها سبباً في هداية من قرأها أو نشرها، وأن يكتب لنا وللقارئ الأجر والثواب.

كما أسأله سبحانه أن يصلح قلوبنا، وأن يثبتنا على دينه، وأن يجعلنا من أهل القرآن والسنة، وأن يجمعنا بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنات النعيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف





الباب الأول: أصول الهداية والثبات على الدين

إن أعظم ما يحتاجه المسلم في حياته هو أن يكون على بصيرة في دينه، مستمسكاً بالكتاب والسنة، سائراً على منهج السلف الصالح الذين تلقوا هذا الدين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهموه الفهم الصحيح.

وفي زمن كثرت فيه الشبهات، وجرؤ بعض الناس على النصوص الشرعية، صار لزاماً على المسلم أن يعتني بأصول دينه، وأن يعرف الطريق الذي دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتمسك به تمسكاً يورثه الثبات والاستقامة.

وفي هذا الباب جملة من المقالات التي تبين بعض أصول الهداية ووسائل الثبات على دين الله، لعل الله أن ينفع بها ويجعلها سبباً في زيادة اليقين والتمسك بالحق.

متن مختصر في عقيدة أهل السنة والجماعة

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، العلي الأعلى، رب الأرض والسماء، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، من علينا فهدنا وجعلنا من أمة خير المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، والصلاة والسلام على آله الأطهار، وأصحابه الكرم أجمعين، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن عقيدة أهل السنة والجماعة مأخوذة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وعقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق، وسط بين الغالي والجافي، قائمة على التسليم لنصوص الكتاب والسنة، والإيمان بالغيب. ولا نعارض نصوص الكتاب والسنة بعقولنا وأهوائنا، ولا نرد شيئاً صح من سنة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقول أحد، أو نردها بحجة عرضها على القرآن؛ لكون ذلك لم يكن من عمل السلف، بل زعم عرض السنة على القرآن اعتمد على قول مكذوب موضوع زُعم أنه من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفيما يلي نذكر ما يعتقد أهل السنة والجماعة في أبواب الإيمان، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والجنة والنار، وما يلزمهم من حق لولاية الأمر، والولاء والبراء، وموقفهم من الفرق المخالفة للكتاب والسنة وهم أهل الأهواء والبدع، كالجهمية والخوارج، والرافضة، والصوفية، والمؤولة والمعطلة من المعتزلة والأشاعرة، والأحزاب العلمانية الديمقراطية، وكل جماعة تخالف كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

باب الإيمان

الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل، قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ولا يكفر المسلم بكل ذنب، إنما نكفراه بالشرك وما في حكمه من أنواع الردة، كالتكذيب بما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الاستهزاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو





زاد السائر إلى الله عز وجل

التكذيب بالقرآن الكريم، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بما دون ذلك إلا إذ استحلّه، كالزنا مثلاً والخمر والسرقه حرام ومن فعل شيء من ذلك فهو مرتكب لكبيرة من الكبائر، عاص لله عَزَّوَجَلَّ لكن إن استحل ذلك فهو كافر؛ لكونه مكذب للقرآن والسنة الصحيحة المتواترة، بل حتى لو لم يفعله لكن اعتقد حله كفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

ولا نقول في ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا في صفاته بغير دليل من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو ما صح في سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن كلها صفات كمال لانقص فيها بوجه من الوجوه، وأنها حُسنَى، وأن القول في الصفات كالقول في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فلا ثبت ما قبلته عقولنا ونرد ما خالفها بل يكون الحجة في ذلك الكتاب والسنة الصحيحة، فإذا أثبتنا صفة العلم أو صفة القدرة مثلاً ثبت له كذلك الاستواء والنزول واليد والوجه وغيرها من الصفات الثابتة كما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

باب التوحيد

- الربوبية: (إفراد الله عَزَّوَجَلَّ في أفعاله)، فنقر بأن الله جَلَّ جَلَالُهُ رَبُّ كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه، وأنه المحيي والمميت، النافع، الضار، له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.





زاد السائر إلى الله عز وجل

- الألوهية: إفراد الله عزَّجَلَّ بالعبادة، والنفي والبراءة من كل معبود دونه سبحانه، فلا يُصرف شيء من العبادة لغيره جَلَّ وَعَلَا، وهذا هو تحقيق كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)، وهذا التوحيد هو أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

[سورة الأنبياء: ٢٥].

- الأسماء والصفات: إثبات ما أثبتته الله سبحانه وتعالى لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبتته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن

غير تكييف ولا تمثيل كما قال الله عزَّجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

فثبت ما أثبتته الله عزَّجَلَّ لنفسه من الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة، فثبت لله عزَّجَلَّ اليد، والعين، والوجه، والسمع، والبصر، والرحمة، والقدرة، والمجيئ، والعلو، والاستواء، والكلام، و...، وسائر الأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، مع نفي المماثلة والمشابهة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

والإثبات لا يلزم منه المشابهة والتمثيل كما يفهمه المعطلة فنقول: لزيد يد وله وجه، وللليل يد ووجه، فلا يقول عاقل بأننا شبهنا يد زيد ووجهه بيد الفيل





زاد السائر إلى الله عز وجل

ووجه، فهذا في المخلوق مع المخلوق ينتفي المشابهة والمماثلة، والله المثل الأعلى سبحانه.

الإيمان بالملائكة

نؤمن بالملائكة الكرام، عباد الرحمن، خلقهم الله من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لكل منهم وظيفة.

الإيمان بالكتب

نؤمن بجميع كتب الله عزَّوَجَلَّ المنزلة، وأعظمها القرآن الكريم، وهو ناسخ لما سبقه من الكتب، وهو كلام الله سبحانه غير مخلوق، منزل من عنده، تكلم الله عزَّوَجَلَّ به حقيقة كما يليق بجلاله، سمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه جَلَّ وَعَلَا، وسمعه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبلغه للأمم.

الإيمان بالرسول

ونؤمن بجميع رسل الله عزَّوَجَلَّ، أولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآخرهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده، وشريعته ناسخة لما قبلها، باقية إلى قيام الساعة، ونؤمن أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، رفعه الله إليه، وسيعود في آخر الزمان تابعا لشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقتل الدجال، ويقيم العدل.

الإيمان بالقدر

نؤمن بالقدر خيره وشره، وأن الله قد علم الأشياء وكتبها، وشاءها وخلقها، وكل ما في الكون بقضائه وقدره، وهو سبحانه عادل لا يظلم أحدا.





الإيمان باليوم الآخر

١- عذاب القبر ونعيمه: ونؤمن بفتنة القبر، وسؤال الملكين، وبنعيم القبر للمؤمنين، وعذابه للكافرين والمنافقين، وأن الله عزَّجَلَّ يثبت المؤمن بالقول الثابت عند السؤال، كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وثبت في السنة الصحيحة.

٢- البعث والنشور: نؤمن بأن الله عزَّجَلَّ يبعث الناس بعد موتهم، فيحييهم بعد فنائهم، ويجمعهم ليوم لا ريب فيه، فيحاسبهم على أعمالهم، قال الله

سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُّونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[سورة المؤمنون: ١٥-١٦].

٣- الميزان: نؤمن بالميزان يوم القيامة، وهو ميزان حقيقي له كفتان، توزن به الأعمال، ويؤقِّ الناس به أعمالهم بالعدل.

٤- الصراط: ونؤمن بالصراط المضروب على متن جهنم، يمرّ الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمشي أو يزحف، ومنهم من يُجدش ثم يُنجي، ومنهم من يُكردس في النار، نسأل الله عزَّجَلَّ السلامة.

٥- الحوض والشفاعة: نؤمن بحوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً.





زاد السائر إلى الله عز وجل

ونؤمن بالشفاعة التي أكرم الله بها نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبشفاعة غيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصالحين والملائكة، بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ورضاه.

ونؤمن بجميع أنواع الشفاعة الثابتة في الكتاب والسنة، وأعظمها الشفاعة العظمى في أهل الموقف، وهي المقام المحمود، ومن ذلك: الشفاعة في فصل القضاء بين العباد، والشفاعة في أهل الجنة ليدخلوها، والشفاعة في أقوام من أهل التوحيد ألا يدخلوا النار، والشفاعة في أقوام دخلوها أن يخرجوا منها، وشفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفع الدرجات، ولا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد، وبإذن الله عَزَّوَجَلَّ ورضاه.

٦- رؤية المؤمنين ربهم: نؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رؤية حقيقية بالأبصار، من غير إحاطة ولا كيف، كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣].

ونؤمن أن الكافرين لا يرونه، بل يُحْجَبُونَ عنه يوم القيامة، كما قال سبحانه:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين: ١٥].

٧- الجنة والنار: نؤمن أن الجنة حق، والنار حق، وأنها مخلوقتان لا تفتيان ولا تبيدان. الجنة دار النعيم أعدها الله عَزَّوَجَلَّ لأوليائه، والنار دار العذاب أعدها الله للكافرين.





باب الصحابة

نعتقد حبَّ جميع أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونترضى عنهم، ونعتقد أنهم خير القرون، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونفضِّل أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضهم على بعض، فأفضلهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وهم: طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ثم نعتقد فضل أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

ونكفِّ عمَّا شجر بينهم، ونعتقد أنهم فيما وقع بينهم مجتهدون: منهم المصيب فله أجران، ومنهم المخطئ فله أجر واحد وخطؤه مغفور، ولا نعتقد العصمة لأحد منهم بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونعتقد أن محبتهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر أو نفاق أو فسوق بحسب حاله، وأن سبهم ضلال وعدوان، وتكفيرهم كفر وضلال عظيم.





زاد السائر إلى الله عز وجل

فאלلهم إنا نحبههم ونتولاهم، ونسأل الله أن يرضى عنهم، ونبغض من يبغضهم،
ونتبرأ ممن بغير الخير يذكرهم.

باب السمع والطاعة

نرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين في المعروف، وعدم الخروج
عليهم إلا إذا وقع منهم كفر بواح عندنا فيه برهان.

باب الولاء والبراء

نوالي المؤمنين ونحبهم بحسب إيمانهم وتقواهم، ونتبرأ من الكافرين
وأديانهم، مع الإحسان لغير المحاربين منهم كالذميين والمستأمنين، والعدل في
معاملتهم.

الخاتمة

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، مصدرها الكتاب والسنة، وما أجمع عليه
سلف الأمة.

وهي وسط بين الغلاة والجفأة، ووسط بين المعطلة والمشبهة، ووسط بين
الخوارج والمرجئة، ووسط بين الرافضة والنواصب.

فعلى المسلم أن يعتز بهذه العقيدة، ويثبت عليها، ويحرص على تعلّمها
وتعليمها، فهي النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

نسأل الله عزَّجَلَّ أن يحمينا على الإسلام والسنة، وأن يميّتنا عليها، وأن يجرنا
في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





زاد السائر إلى الله عز وجل

التسليم للكتاب والسنة أصل من أصول السلف

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ الْعَزِيزَ فَكَانَ عَلَى أَشْرَفِ إِنْسَانٍ وَهُوَ نَبِينَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَهُ أَحْسَنُ بَيَانٍ، وَفَصَلَ هَذَا الدِّينَ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِرِسَالَتِهِ خَتَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا الدِّينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ [سورة المائدة: ٣]، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ۝٣﴾ [سورة النجم: ٣-٤]، فَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ شَارِحَةٌ وَمَوْضُوحَةٌ وَمَبِينَةٌ لِمَا فِيهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَأَيْضًا فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي لَمْ تَذَكَرْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا شَرَعَتْ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَوَاجِبُنَا تَجَاهُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْقَبُولَ وَالتَّسْلِيمَ لَا الْمَعَارِضَةَ أَوْ التَّأْوِيلَ وَالتَّحْرِيفَ، وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرِ السُّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ يُدْرِكُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ وَعَدَمِ الْمَعَارِضَةِ، وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْ أَحَدِ السُّلَفِ مِنَ السُّلَفِ أَنَّهُ عَارِضَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَيِّ حُجَّةٍ كَانَتْ لَا بِالْعَقْلِ، وَلَا بِالْمُكَاشَفَاتِ، وَلَا بِالْأَذْوَاقِ، وَلَا بِزَعْمِ مَعَارِضَةِ السُّنَّةِ لِلْكِتَابِ، وَفِيمَا يَلِي نَنْقُلُ بَعْضَ كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِي يُوَضِّحُ هَذَا الْأَمْرَ.





فقد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: "لم أسمعَ أحدًا نسبَه النَّاسُ أو نسبَ نفسه إلى علمٍ يخالفُ في أنْ فرضَ اللهُ عزَّوجلَّ اتِّباعُ أمرِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتَّسليمُ لحُكْمِهِ بأنَّ اللهُ عزَّوجلَّ لم يجعلْ لأحدٍ بعده إلا اتِّباعه، وأنَّه لا يلزمُ قولٌ بكلِّ حالٍ إلا بكتابِ اللهِ أو سنَّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ ما سواهما تبعُ لهما"^(١).

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: "كتبَ رجلٌ إلى أبي يسأله عن مناظرة أهلِ الكلامِ والجلوسِ معهم، فأملَى عليَّ جوابه:

أحسنَ اللهُ عاقبتك، ودفعَ عنك كلَّ مكروهٍ ومحدورٍ، الذي كنَّا نسمعُ وأدرَكنا عليه من أدرَكنا من أهلِ العلمِ: أنَّهم كانوا يكرهونَ الكلامَ والخوضَ مع أهلِ الزَّيغِ، وإنَّما الأمرُ في التَّسليمِ والانتهاةِ إلى ما في كتابِ اللهِ جلَّ وعزَّ، لا يعدُّو ذلك"^(٢).

وقال الإمام محمد بن إسحاق ابنُ خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: "إنَّ الأخبارَ في صفاتِ اللهِ موافقةٌ لكتابِ اللهِ تعالى، نقلها الخلفُ عن السَّلفِ قرنًا بعد قرنٍ من لدنِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ إلى عَصْرِنَا هذا، على سبيلِ الصِّفاتِ لله تعالى، والمعرفةِ والإيمانِ به،

(١) ينظر: الأم، للشافعي (٧/ ٢٨٧).

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح (٢/ ١٦٦)، برقم (٧٣٤)، وتاريخ الإسلام، للذهبي ت تدمري (١٨/ ٩٣-٩٤).





والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله، ونبيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكيف^(١).

وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية رحمه الله: "من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم: فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه، ولا يخلق عن كثرة الرداد، فإذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

(١) ذم التأويل، لابن قدامة المقدسي (ص: ١٨).





فَكَانَ الْقُرْآنُ هُوَ الْإِمَامَ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ؛ وَهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ
أَنَّهُ عَارَضَ الْقُرْآنَ بِعَقْلِ، وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ، وَلَا بِذَوْقٍ وَوَجْدٍ وَمُكَاشَفَةٍ، وَلَا قَالَ قَطُّ
قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ" (١).

فعلينا التسليم والقبول للكتاب والسنة لا المعارضة، ففيها المخرج من الضلال
والانحراف.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يأخذ بأيدينا لكل خير، ويوفقنا للعمل بالكتاب والسنة،
والامتثال لهما، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى الله عَزَّوَجَلَّ / أبو عبد الله
محمد بن عبد الله بن محمد حزام العبدي
٧ شعبان / ١٤٤٦ هجرية.

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٨-٢٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

الطريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير والهادي إلى الصراط المستقيم محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله الأطهار وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سبحانه ومن رحمته جَلَّ وَعَلَا بنا أنزل إلينا أعظم كتاب على أكرم خلق الله وأفضلهم، ونزل به أفضل رسل الله من الملائكة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين لنا عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم كل شيء، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه لنا وأحسن بيان، فما أجمل في القرآن فصله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبينه، وشرحه ووضحه قال الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [سورة

النحل: ٤٤]، قال الحافظ ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى ذكره لنبية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله، فتعرفهم الصواب منه، والحق من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها"^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالدين الذي اجتمع عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمون اجتماعاً ظاهراً معلوماً هو منقول عن نبيهم نقلاً متواتراً

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) ت شاكر (١٧ / ٢٣٦).





نقلوا القرآن ونقلوا سنته، وسنته مفسرة للقرآن مينة له كما قال تعالى له: ﴿وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿ [سورة النحل: ٤٤].

فبين ما أنزل الله لفظه ومعناه فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقاً ظاهراً مما توارثته الأمة عن نبيها كما توارثت عنه ألفاظ القرآن فلم يكن - والله الحمد - فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني فكيف بألفاظ تلك المعاني.

فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ فكان الدين الظاهر للمسلمين الذي اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم لفظه ومعناه، فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل لا للفظ ولا للمعنى بخلاف التوراة والإنجيل فإن من ألفاظها ما بدل معانيه وأحكامه اليهود والنصارى أو مجموعهما تبديلاً ظاهراً مشهوراً في عامتهم^(١).

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى**

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ [سورة النحل: ٦٤]، قال ابن جرير الطبري رَحْمَةً اللَّهِ:

"أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وذلك تفصيل مجمل ما في آية من أمر الله ومهيئه وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة - لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أشبه

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ١٧).





ذلك مما تحويه آي القرآن، من سائر حُكمه الذي جعل الله بيانه لخلقه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا يعلم أحدٌ من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحيه إليه، إما مع جبريل، أو مع من شاء من رُسله إليه. فذلك هو الآي التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه، وهنَّ لا شك أيُّ ذواتٍ عَدِدٍ.

ومن آي القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثر بعلم تأويله، فلم يُطلع على علمه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله.

فأما ما لا بُدَّ للعباد من علم تأويله، فقد بين لهم نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل. وذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه كان لا يفسر من القرآن شيئًا إلا آيا بعددٍ - هو ما يسبقُ إليه أو هامُ أهل الغياء، من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه، كان إنما أنزل إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذكر لِيترك للناس بيان ما أنزل إليهم، لا ليبين لهم ما أنزل إليهم.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وفي أمر الله جل ثناؤه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببلاغ ما أنزل إليه، وإعلامه إياه أنه إنما نزل إليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل إليهم، وقيام الحجة على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلغ وأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به" (١).

الطريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو التسليم المطلق لكتاب الله عز وجل وما صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما فهمه سلف الأمة الصحابة والتابعون رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لا عرضهما على العقول فما قبلته عقولهم قبلوه وما ردته ردوه بحيث تصبح عقولهم هي الميزان، أو إن اضطروا لقبول شيء حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني البعيدة أيضاً والمستكرهة فحادوا وزاغوا عن الحق والهدى، ونبذوا الدين وراء ظهورهم تعالى الله سبحانه عما يصفون.

قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ:

"وأما أهل الحق فجعّلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم، عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه مؤافقا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووقفهم إليه، وإن وجدوه مخالفا لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورَجَعُوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني: وهو واحد زمانه في المعرفة: ما حدثتني نفسي بشيء

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) ت شاكر (١/ ٨٧-٨٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

إِلَّا طَلَبْتَ مِنْهَا شَاهِدِينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ أَتَتْ بِهِمَا، وَإِلَّا رَدَدْتَهُ فِي نَحْرِهَا.
أَوْ كَلَامَ هَذَا مَعْنَاهُ"^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: "مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ عَلَى الْحَقِّ أَنَّكَ لَوْ طَالَعْتَ جَمِيعَ كُتُبِهِمُ الْمُصَنَّفَةَ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ؛ قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ، مَعَ اخْتِلَافِ بِلْدَانِهِمْ وَزَمَانِهِمْ، وَتَبَاعُدِ مَا بَيْنَهُمْ فِي الدِّيَارِ، وَسُكُونِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قُطْرًا مِنَ الْأَقْطَارِ، وَجَدَّتْهُمْ فِي بَيَانِ الْإِعْتِقَادِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَمَطٍ وَاحِدٍ، يَجْرُونَ فِيهِ عَلَى طَرِيقَةٍ لَا يَجِيدُونَ عَنْهَا، وَلَا يَمِيلُونَ فِيهَا، قَوْلُهُمْ فِي ذَلِكَ وَاحِدٌ، وَنَقْلُهُمْ وَاحِدٌ، لَا تَرَى بَيْنَهُمْ اخْتِلَافًا وَلَا تَفَرُّقًا فِي شَيْءٍ مَا وَإِنْ قَلَّ، بَلْ لَوْ جَمَعْتَ جَمِيعَ مَا جَرَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَنَقَلُوهُ عَنْ سَلْفِهِمْ، وَجَدْتَهُ كَأَنَّهُ جَاءَ مِنْ قَلْبٍ وَاحِدٍ، وَجَرَى عَلَى لِسَانٍ وَاحِدٍ، وَهَلْ عَلَى الْحَقِّ دَلِيلٌ أَبِينُ مِنْ هَذَا؟!"^(٢).

وبهذا يظهر الفرق بين أهل الحق وأهل الباطل.

فمنهج أهل السنة والجماعة منهج يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، فلا يردون منها شيئاً، ولا يعارضونها بعقل ولا ذوق ولا منامات، ولا غير ذلك.

قال الحافظ ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ ورفع درجته: "ليس في الاعتقادِ كُلُّهُ في صفاتِ اللهِ وأسمائه إِلَّا ما جاء منصوصاً في كتابِ اللهِ، أو صحَّحَ عن رَسولِ اللهِ

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٨).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبارِ الآحادِ في ذلك كُلهُ أو نحوه يُسلمُ له، ولا يَناظرُ فيه" (١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: "مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَقْلِ الثَّقَاتِ وَجَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَصَحَّ عَنْهُمْ فَهُوَ عِلْمٌ يُدَانُ بِهِ، وَمَا أُحْدِثَ بَعْدَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِيهَا جَاءَ عَنْهُمْ فَبِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ وَمَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ أَوْ صِفَاتِهِ عَنْهُمْ سَلِمَ لَهُ، وَلَمْ يُنَاطَرْ فِيهِ كَمَا لَمْ يُنَاطَرْوا".

وقال أَبُو عُمَرَ: "رَوَاهَا السَّلَفُ وَسَكَتُوا عَنْهَا وَهُمْ كَانُوا أَعَمَّقَ النَّاسِ عِلْمًا وَأَوْسَعَهُمْ فَهَمًّا وَأَقَلَّهُمْ تَكَلُّفًا وَلَمْ يَكُنْ سُكُوتُهُمْ عَنْ عِيٍّ فَمَنْ لَمْ يَسَعُهُ مَا وَسَعَهُمْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ" (٢).

بخلاف أهل البدع فقد أصلوا لأنفسهم قواعد حاكموا إليها نصوص الكتاب والسنة؛ فما وافق منها تلك القواعد قالوا به معضدين لا محتجين، وما خالف ردوه بتضعيف إن كان حديثاً، أو تأويل إن كان قرآناً أو حديثاً، وإن أحسنوا المعاملة فوضوا العلم به، وعزلوه عن الحكم والاحتجاج به.

فاللهم أرنا الحق حقاً ووقفنا للتمسك به، وأرنا الباطل باطلاً ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، اللهم أعذنا الله من مخالفة السنة ولزوم الابتداع، وجعلنا ممن يلزم طريق الاتباع، ربنا وخالقنا جنبنا الزلل في القول والعمل، واجعلنا ممن يقول

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٦).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فيعمل، ويعمل فيخلص، ويُخلص فيُقبل منه يا كريم يا عظيم يا الله، وَصلى الله
وسلم على نبينا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ صَلَاةٍ وَأَزْكَاهَا وَأَطْيَبِهَا وَأَنْهَاهَا، وَأَخْيَانَا عَلَى مِلَّتِهِ،
وَأَمَاتَنَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَحَشَرْنَا فِي زَمْرَتِهِ.

والحمد لله رب العالمين.





جُرأة الجاهلين على الوحيين

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإننا نعيش في زمنٍ اختلطت فيه الأصوات، وتجراً فيه من لا خلاق له على الكلام
والخوض في دين الله عزَّوجلَّ، وصار الحق غريباً بين الناس، والعلم مطموراً تحت
ضجيج الجهل والادّعاء.

ورأينا أقواماً لا يُعرفوا بعلم ولا ينسبون إلى طلبه، وإنما تشبثوا بالشبهات لإثارتها
وتشكيك الناس في عقيدتهم وكتاب ربهم، وسنة نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يذوقوا
من الفقه إلا سطحه، فإذا بهم يتصدّرون للكلام في أعظم ما يُتكلّم فيه: الوحي
الإلهي.

يتأولون القرآن الكريم بلا علم، ويردّون السنة النبوية الصحيحة بزعم مخالفتها
للعقل، فيجعلون عقولهم القاصرة ميزاناً للوحي المعصوم، وما علموا أن قصور
عقولهم هو سبب ضلالهم، لا كمالها، وأنّ عقول السلف العظام إنما أشرقت بنور
الإيمان ففهمت النصوص على وجهها، فجمعت بين العقل والنقل، وبين العلم
والعمل.

وتارة يردونها بزعم مخالفتها للقرآن الكريم أو معارضتها للقرآن الكريم، فبأي
فهم فهموا وبأي عقل حكموا؟!!

خابوا وخسروا.





زاد السائر إلى الله عز وجل

ولأن هذا الداء قد تفشى في هذا الزمن، وامتدت السنة الجُهاَل إلى حرَمات الوحيين (الكتاب والسنة) أصبح سمة مؤلمة من سمات عصرنا؛ كان لزاماً أن يُبين الحق، ويكشف الباطل وزيفه، وأن يُذكَر الناس بقدسية هذا الدين الحنيف، وأن يُوضع العقل في موضعه، تابعاً لا متبوعاً، خادماً لا حاكماً.

ومن هنا كانت هذه الكلمات تحت عنوان: (جرأة الجاهلين على الوحيين)

لقد ابتلينا في هذا الزمان بأقوامٍ ما رفعوا للعلم رأساً، وما عرفوا للعلم قدراً، ولا طرَقوا أبواب التفقه في الدين، فإذا هم يتصدرون المجالس، ويعتلون المنابر، ويظهرون في الشاشات، يفسرون القرآن بأهوائهم، ويلمزون تفاسير السلف بأنها تحمل ثقافة مغلوطة، ويزنون سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعقولهم القاصرة، ثم يزعمون أنهم أهل تجديدٍ وفكرٍ ونورٍ وقرآن!

يا للعجب! أيّ فكرٍ هذا الذي يجرّ صاحبه إلى ردّ كلام سيد البشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وأيّ نورٍ هذا الذي يطفئ أنوار الوحيين بحجة العقل تارة؟ وتارة بحجة معارضتها للقرآن الكريم!؟

وأيّ منتسب للقرآن وهو يرد هدي سيد الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويفسر القرآن بعقله القاصر، ورأيه العفن.





زاد السائر إلى الله عز وجل

أيها الأفاضل: إن العقل الذي وهبه الله عزَّجَلَّ للإنسان، إنما هو مصباحٌ يُضيء له الطريق إلى الحق، لا نارٌ تحرق نصوص الوحي وتذرها رمادًا.

العقل في الإسلام خادمٌ للنص، لا سيّد عليه، يصدّقه حيث يبلغه، ويقف عند حدّه إذا قصر عنه، فما كلّ ما لم تدركه العقول يُردّ، بل فيه سرّ العبودية المحضّة، وميزان التسليم لله عزَّجَلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولقد كان أصحاب محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزلت الآية، جمعوا قلوبهم لها قبل ألسنتهم، وتلقوا الإيمان قبل أن يتلقوا القرآن، فزادوا به إيمانًا على إيمانهم.

أما اليوم فكثيرٌ ممن سلك هذا الطريق يعجز عن قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، فضلًا عن العلم بناسخه ومنسوخه، وأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ولا يعرف من علوم الحديث حتى عناوينه، يرفع صوته في وجوه العلماء، ويتهمهم بالجمود والتقليد والكذب والتلفيق في دين الله عزَّجَلَّ وأنهم إنما أخذوا دينهم من اليهود، ثم يفسّر الدين كما يشتهي، ويختزل الوحي في رأيٍ عابِرٍ أو خاطرٍ مضطرب.

يا هؤلاء!

إن الوحي لا يُعارضه عقلٌ سليم، وإنما يعارضه هوىٌ سقيم.

ومن رام أن يزن كلام الله عزَّجَلَّ بميزان نفسه، فقد جعل من نفسه إلهًا يُعبد من دون الله جَلَّ وَعَلَا.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وما ضلّ من ضلّ إلا حين قدّم رأيه على النص، وعقله على الوحي، وهواه على الهدى.

فارجعوا إلى منهج السلف أيها القوم تفلحوا، وتعلّموا قبل أن تقولوا، وازنوا عقولكم وأقوالكم وأفعالكم بميزان الكتاب والسنة، لا تزنوا الكتاب والسنة بميزان عقولكم القاصرة.

واعلموا أن للدين حُرْمته، وللوحي هيّبه، وأن الكلام فيه بغير علم جرأة على الله جلّ جلاله، وافتتات على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله جلّ وعلا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: 7]، ولم يقل: وما آتاكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعرضوه على القرآن الكريم. وقال سبحانه: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: 1]، فإن كنتم مؤمنين حقا أطيعوا الله عزّ وجلّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال جلّ وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: 31]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من





عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١)، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو

أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن

تحب وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم

الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾^(٢).

فيا من يتجرأ على الوحيين! اتق الله عَزَّوَجَلَّ، وارجع إلى ما كان عليه سلف الأمة

من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباعهم قبل ظهور الفرق المنحرفة، وإياك

والقول في دين الله جَلَّ وَعَلَا بغير علم، فإنها من أعظم الجرائم وأشدّها خطراً.

ولتعلم أن من خالف سبيل المؤمنين فقد توعدّه الله جَلَّ وَعَلَا بالعذاب الأليم، قال

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥].

وتوعد رب العزة والجلال من يخالف أمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعذاب الأليم

فقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٧١٨).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٢).





فاتقوا الله أيها الناس، وارجعوا إلى الحق قبل فوات الأوان، وخافوا من الجرأة على دين الله جَلَّ جَلَالُهُ، واعلموا أن القول على الله جَلَّ وَعَلَا بغير علم من الكبائر قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلْبَنَى بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]،

ولا ترددوا شبهاتٍ أملاها عليكم قومٌ لا خلاق لهم.

واعلموا أن دين الله عَزَّجَلَّ محفوظ، وأن من عارضه فقد عرض نفسه للهلاك، فإن كنتم تريدون الحق ورضى الحق فاتبعوا الحق فالحق أحق أن يتبع، واجعلوا رضا الله عَزَّجَلَّ غايتكم لا فلان وعلان.

وإذ نختم هذه الكلمات بهذه الدعوات، فإننا نسأل الله عَزَّجَلَّ أن يهدينا سواء السبيل، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، نافعةً لكتابها وقارئها. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، اللهم ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك أنت حسبنا ونعم الوكيل وفقنا لما تحب وترضى، يا أكرم الأكرمين ويا رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





خطوات عملية للثبات على عقيدة السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد سألتني أحد الأفاضل سؤالاً قال فيه: نرى كثيراً ممن درس العقيدة وحفظ
المتون ودرس العلم إذا جاءته فتنة زل!!! فما هي خطوات العقيدة العملية التي كان
عليها سلفنا الصالح؟

هناك خطوات نظرية وهي التي ندرسها الآن لكن أسأل ما هي الخطوات
العملية برأيكم؟

فأجبتة مستعيناً بالله عزَّوجلَّ قائلاً:

إن السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورحم الله من سار على طريقهم وسلك سبيلهم
كانوا يتعلموا ليعملوا بما تعلموا، ولم يكونوا يحفظون العقيدة كما تفضلتم بالسؤال
كمتون أو كتيبات معينة، وإنما كانوا يعرفون العقيدة ويطبقونها في واقعهم
وسلوكلهم، فكانت العقيدة عندهم حاكمة على قلب الإنسان وجوارحه وسلوكه؛
لذا ثبتوا عند البلاء، وثبتوا أمام الفتن والمصائب، فكانت العقيدة عندهم عماد
حياتهم وأساسها وأساسها، وليست مادة دراسية فقط.





وفيما يلي نذكر بعض الخطوات التي تمثل خطوات عملية تمثل عقيدة وتثبيت أثرها عند السلف الصالح، وهي:

أولاً: تحقيق التوحيد الخالص لله جَلَّ وَعَلَا:

ليس الغرض معرفة معنى التوحيد وأنواعه فحسب وإنما معرفة التوحيد بأنواعه والقيام بما يجب على العبد في ذلك، فيفرد الله عَزَّجَلَّ بأفعاله فالله سبحانه فعال لما يريد الخالق الرازق المحيي المميت على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فيترك التعلق بغير الله جَلَّ وَعَلَا، والاعتماد على غيره، وإنما يكون اعتماده الكامل على ربه عَزَّجَلَّ، ولا يخاف إلا منه سبحانه وبحمده، والتوكل عليه في كل أمر ولا يطلب النصر والعزة والهداية والرزق والولد وغيرها إلا منه سبحانه فهو القادر على كل شيء.

فإذا أفردت الله عَزَّجَلَّ بأفعاله سبحانه قارك ذلك لتوحيد الإلهية وهو إفراد الله جَلَّ جَلَالُهُ بالعبادة، فلا تصرف أي عمل لغيره جَلَّ وَعَلَا، فتفرد الله عَزَّجَلَّ بعبادتك الظاهرة وهي أعمال الجوارح وأقوالك -أعمال اللسان-

وكذا تفرد بعبادتك الباطنة وهي أعمال القلوب، فلا تكون الخشية إلا لله عَزَّجَلَّ، ولا يكون توكلك إلا على الله عَزَّجَلَّ، ولا يكون خوفك إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمراقبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جميع الأعمال، فأعمال القلوب هي ثمرة من ثمار توحيد الأسماء والصفات، فحين يعرف الإنسان أن الله جَلَّ جَلَالُهُ عليم بصير لا يخفى





عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، هذا يبعث على تعظيم الله عزَّجَلَّ في النفوس ويقود الإنسان إلى الابتعاد عن كل ما يغضب الله جَلَّ وَعَلَا والاستقامة على هذا الدين.

ومن أسمائه جَلَّ وَعَلَا الرقيب فهذا يبعث العبد على مراقبته جلا جلاله في الأعمال فلا يراك سبحانه إلا حيث يجب ولا يراك حيث نهاك، وهكذا سائر الأسماء والصفات حين يستشعرها الإنسان تثمر عنده الاستقامة والسير على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسلف الصالح.

فهكذا يكون التوحيد الخالص زادًا للثبات في زمن الفتن، وسراجًا للسير على منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلف الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ إذا لا يثبت في زمن الفتن والاضطراب إلا من وحد الله جَلَّ وَعَلَا حق التوحيد، فعظمه فهو العظيم في خلقه والعظيم في أفعاله وفي صفاته وفي كل شيء، وراقبه سبحانه فهو الرقيب، وتوكل عليه سبحانه حق التوكل.

ثانياً: الصدق مع الله عزَّجَلَّ:

الصدق مع الله عزَّجَلَّ هو أصل الثبات وروح الاستقامة على دين الله جَلَّ وَعَلَا، وميزان قبول الأعمال، كيف يكون ذلك؟ يكون الصدق مع الله عزَّجَلَّ بإخلاصك في أعمالك لله جَلَّ وَعَلَا، فيكون قصدك في طلبك للعلم لله سبحانه، لا الجدل والمخاصمة في العلم، ولا العلو والشهرة والمنزلة في بني قومه، وليكن قصدك في





زاد السائر إلى الله عز وجل

العبادة وجه الله جَلَّ وَعَلَا، فالعبادة هي لله عَزَّوَجَلَّ الغني الرزاق الرزاق الذي هو على كل شيء قدير، العالم بكل شيء، القوي القادر على كل شيء، فمن عظم الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه بمعرفته جَلَّ وَعَلَا بأسائه وصفاته يستحيل أن يتوجه لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف يطلب الرزق من قبر أو وثن من عرف الله جَلَّ جَلَالُهُ؟

كيف يقصد غير الله بأعماله من عرف الله سبحانه حق معرفته.

فالله سبحانه غني عظيم يرد منا أن نفرده بالعبادة ونقصد بها وجهه جَلَّ وَعَلَا، في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مِنْ عَمَلٍ أَسْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ»^(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ»^(٢).

وفي الصحيحين عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهَ بِهِ»^(٣).

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(٤).

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٦).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٩٩)، ومسلم، برقم (٢٩٨٧)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري، برقم (١)، ومسلم، برقم (١٩٠٧).





فمن طلب العلم ليُجادل أو ليُعجب الناس بعلمه حُرِمَ بركته، ومن عبد الله عَزَّوَجَلَّ وهو يلتفت بقلبه إلى المخلوقين لم يذق حلاوة العبادة، أما من كان قصده وجه الله جَلَّ جَلَالُهُ، طابت سريرته، وثبت قلبه، وصارت عباداته كلها خالصة لربه سبحانه الغني الحميد، الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين. فصحة أعمال الإنسان أقوال وأفعال أو كمالها وقبولها وترتيب الثواب عليها لا يكون إلا بحسب النية، فقبول العمل وإثابة الإنسان عليه لمن كانت نيته لله عَزَّوَجَلَّ به. ومن صدق مع الله عَزَّوَجَلَّ وأخلص له سبحانه ثبته الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الصدق يجلب معية الله جَلَّ جَلَالُهُ، ومن كان الله عَزَّوَجَلَّ معه لا يضلّه شيء.

ثالثاً: الإكثار من الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ والاستعانة به على الثبات على الدين:

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن الدعاء هو العبادة، فأخلص النية وألح على الله جَلَّ وَعَلَا بالدعاء وطلب الهداية فمن طلب الهداية منه سبحانه بصدق هداه الله جَلَّ وَعَلَا، يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ في حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحيح مسلم فيما يرويه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم...»^(١).

ولأهمية الهداية نسألها الله جَلَّ وَعَلَا في كل ركعة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾﴾

[سورة الفاتحة: ٦].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٧٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ أن يثبته على الدين، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»**، فقلت: يا رسول الله، آمننا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: **«نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»**^(١).

وأخرجه الترمذي^(٢) أيضًا من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ مقارب لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه أحمد في المسند من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: **«دعوات كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يدعو بها: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء، فقال: إن قلب الأدمي بين أصبعين من أصابع الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا شاء أزاعه، وإذا شاء أقامه»**^(٣).

فهذا الحديث العظيم أبان فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة عظيمة وهي: أن الثبات على الدين ليس بالذكاء، ولا بالعلم، ولا بالمنزلة، بل برحمة الله جَلَّ جَلَالُهُ وتوفيقه سبحانه.

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٤٠)، وأحمد في المسند، برقم (١٢١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٧٩٨٧).

(٢) برقم (٣٥٢٢)، وأحمد في المسند، برقم (٢٦٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٨٠١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٤٦٠٤)، وصححه محققو المسند.





زاد السائر إلى الله عز وجل

فالدعاء سبب مباشر للهداية لأن الله سبحانه هو الهادي ويده كل شيء ومن ذلك الهداية، قال الله عزَّوجلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

والدعاء صلة عظيمة بين العبد وربّه جَلَّ وَعَلَا، فمن أكثر الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عزَّوجلَّ له أبواب العلم والعمل ووفقه وشرح صدره للحق وقبوله ووقاه مسالك الهوى والضلال.

والدعاء أيضاً سبب للثبات بعد الهداية وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الدعاء أن يثبت الله جَلَّ جَلَالُهُ قلبه على الدين كما سبق.

وأيضاً وأنت تدعو الله عزَّوجلَّ أن تعبد الله سبحانه استشعر ضعفك وفقرك لله جَلَّ جَلَالُهُ واستشعر أيضاً عظمة الله وأنه بيده كل شيء، وقد أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

فالدعاء سلاح المؤمن، وزاد الموحّد، وحصن الثابتين في زمن الفتن، ومن لازم الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عزَّوجلَّ له أبواب الخير، ووقاه مواطن الزيغ والظلال، وثبته على الصراط المستقيم حتى يلقي ربه جَلَّ وَعَلَا وهو راضٍ عنه.

رابعاً: الابتعاد عن الشبهات والشهوات:





زاد السائر إلى الله عز وجل

من أسباب الثبات على الدين الابتعاد عن الشبهات والشهوات؛ لأنها أصل كل انحرافٍ في العقيدة والفكر والسلوك.

فالشبهات تفسد العقل والعقيدة، والشهوات تفسد القلب والعمل، ومن اجتمعت عليه الفتنتان زلّ عن الصراط المستقيم من حيث لا يشعر، وقد حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مَشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرَضَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنْ حَمَى اللَّهُ مَحَارِمَهُ، أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةٌ، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

فمن ترك ما اشتبه عليه حفظ الله عَزَّوَجَلَّ له دينه من التصدّع، ووقاه مزالق الفتن التي تتخفى أحياناً في صورة فكرٍ أو لذةٍ أو طموحٍ بريء.

ونحن اليوم نعيش في زمنٍ كثرت فيه فتن الشبهات والشهوات، وتنوّعت فيه وسائل الوصول إليها حتى أصبحت تلاحق الإنسان في بيته وجيبه عبر الجوال والشاشات والنت والتلفاز، فلا نجاة إلا لمن عصمه الله عَزَّوَجَلَّ، ووقاه بالعلم النافع، واليقين الراسخ، ومجاهدة النفس عن مواطن الزلل.

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٢)، ومسلم، برقم (١٥٩٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

والإنسان إذا ابتعد عن الشبهات حفظ الله جَلَّ وَعَلَا له بصيرته، وإذا جاهد شهوته ودافعها لله جَلَّ جَلَالُهُ رفع الله سبحانه منزلته، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].

فالثبات لا يتحقق إلا لمن نظف طريقه من العوائق، وأشد العوائق عن الصراط المستقيم ظلمة هي شبهة في العقل، وشهوة في القلب؛ فاحذر أن تسكن فيك إحداهما، فإنها كما قيل: بيدان همسا وينتهيان هدمًا.

خامسًا: الزهد في الدنيا وزخرفها، ومصاحبة الصالحين:

من أسباب الثبات على الدين الزهد في الدنيا ومعرفة حقيقتها؛ فالدنيا مهما اتسعت متاع زائل، وزخرف خادع، قال الله جَلَّ وَعَلَا في وصفها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ

اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

فإذا أيقن الإنسان بفنائها، وأنها متاع زائل، ورأى بعين بصره وبصيرته سرعة انقضائها، وكم من أخوة وأحباب له قد رحلوا عنها وتركوها خلف ظهورهم، لم يأسف على ما فاته منها، ولم يغتر بزخارفها، بل يزهد فيها، ويطلب ما عند الله جَلَّ جَلَالُهُ والدار الآخرة.





زاد السائر إلى الله عز وجل

ولا أعني بالزهد في الدنيا ترك المال أو العمل فيها، وإنما المراد بأن لا يكون المال في قلب الإنسان وإنما يكون في يده، بحيث أنه لا يفرح الإنسان بما أُعطي فهو مسؤول عنه من أين أتاه وفيم أنفقه، ولا يحزن على ما مُنع من زخرف الدنيا بل يجعل الدنيا مزرعةً للآخرة.

ومن عرف أن الآخرة هي الحياة الحقيقية استصغر ما دونها، واستقام قلبه على طاعة الله جَلَّ جَلَالُهُ، وثبت في مواطن الفتن؛ لأنه عرف حقيقة الدنيا وأنها ليست هدفًا يستحق أن يُفتن بها فإنها زائلة ولا بد، وأن الدار الحقيقية الدائمة هي الآخرة فيزهد فيما سوى الباقية.

ومما يُعين على الثبات بعد معرفة حقيقة الدنيا مصاحبة الصالحين؛ فالقلب يضعف وحده ويقوى بالجماعة، وقد أرشد الله عزَّجَلَّ لهذا في قوله سبحانه:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

فصحبة الصالحين تذكّر بالله جَلَّ وَعَلَا، وتعين على طاعته لذا شرعت كثير من العبادات جماعة، وتُذكر بالآخرة، وتُطفى نار الفتنة حين تشتعل، فالإنسان قد يزل وحده، لكنه يثبت مع الرفقة الصالحة التي تذكّره بالله جَلَّ جَلَالُهُ، وتردّه إلى الطريق إذا ضعف.





زاد السائر إلى الله عز وجل

فالزهد في الدنيا يُطهّر القلب من التعلق بالزائل، ومجالسة الصالحين تُثبّت القدم على الحق والهدى، ومن جمعها فقد أخذ بأقوى أسباب الثبات على الدين. هذا ما تيسر القول فيه، فاحرص أشد الحرص على ما أشرنا إليه، فقد تكون جامعة نافعة لما سألت عنه.

أسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَنْفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ بِهَذَا التَّذْكَرَةِ، وَأَنْ يَنْفَعَهَا مِنْ أطلع عليها، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَثْبِتَنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَهْدِينَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَأَنْ يَبْصُرَنَا بِطُرُقِ الظُّلُمِ وَالْهَوَى وَيُجَنِّبَنَا، وَيُسِّرَ لَنَا طُرُقَ الْهُدَايَةِ وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَيْهَا، اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ. هذا والله عَزَّوَجَلَّ أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.





سلسلة وسائل الثبات على دين الله

(١) تحقيق التوحيد الخالص لله جلَّ وَعَلَا

ليس الغرض معرفة معنى التوحيد وأنواعه فحسب وإنما معرفة التوحيد بأنواعه والقيام بما يجب على العبد في ذلك، فيفرد الله عَزَّجَلَّ بأفعاله فالله سبحانه فعال لما يريد الخالق الرازق المحيي المميت على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فيترك التعلق بغير الله جَلَّ وَعَلَا، والاعتماد على غيره، وإنما يكون اعتماده الكامل على ربه عَزَّجَلَّ، ولا يخاف إلا منه سبحانه وبحمده، والتوكل عليه في كل أمر ولا يطلب النصر والعزة والهداية والرزق والولد وغيرها إلا منه سبحانه فهو القادر على كل شيء.

فإذا أفردت الله عَزَّجَلَّ بأفعاله سبحانه قادمك ذلك لتوحيد الإلهية وهو أفراد الله جَلَّ جَلَالُهُ بالعبادة، فلا تصرف أي عمل لغيره جَلَّ وَعَلَا، فتفرد الله عَزَّجَلَّ بعبادتك الظاهرة وهي أعمال الجوارح، وأقوالك -أعمال اللسان-.

وكذا تفرد بعبادتك الباطنة وهي أعمال القلوب، فلا تكون الخشية إلا لله عَزَّجَلَّ، ولا يكون توكلك إلا على الله عَزَّجَلَّ، ولا يكون خوفك إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمراقبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جميع الأعمال، فأعمال القلوب هي ثمرة من ثمار توحيد الأسماء والصفات، فحين يعرف الإنسان أن الله جَلَّ جَلَالُهُ عليم بصير لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما





زاد السائر إلى الله عز وجل

تخفي الصدور، هذا يبعث على تعظيم الله عزَّجَلَّ في النفوس ويقود الإنسان إلى الابتعاد عن كل ما يغضب الله جَلَّ وَعَلَا والاستقامة على هذا الدين.

ومن أسماؤه جَلَّ وَعَلَا الرقيب فهذا يبعث العبد على مراقبته جلا جلاله في الأعمال فلا يراك سبحانه إلا حيث يجب ولا يراك حيث نهاك، وهكذا سائر الأسماء والصفات حين يستشعرها الإنسان تثمر عنده الاستقامة والسير على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسلف الصالح.

فهكذا يكون التوحيد الخالص زادًا للثبات في زمن الفتن، وسراجًا للسير على منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلف الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ إذا لا يثبت في زمن الفتن والاضطراب إلا من وحد الله جَلَّ وَعَلَا حق التوحيد، فعظمه فهو العظيم في خلقه والعظيم في أفعاله وفي صفاته وفي كل شيء، وراقبه سبحانه فهو الرقيب، وتوكل عليه سبحانه حق التوكل.





(٢) الصدق مع الله عزَّوجلَّ

الصدق مع الله عزَّوجلَّ هو أصل الثبات وروح الاستقامة على دين الله جلَّ وعَلا، وميزان قبول الأعمال، كيف يكون ذلك؟

يكون الصدق مع الله عزَّوجلَّ بإخلاصك في أعمالك لله جلَّ وعَلا، فيكون قصدك في طلبك للعلم لله سبحانه، لا الجدال والمخاصمة في العلم، ولا العلو والشهرة والمنزلة في بني قومه، وليكن قصدك في العبادة وجه الله جلَّ وعَلا، فالعبادة هي لله عزَّوجلَّ الغني الرزاق الذي هو على كل شيء قدير، العالم بكل شيء، القوي القادر على كل شيء، فمن عظم الله عزَّوجلَّ في نفسه بمعرفته جلَّ وعَلا بأسمائه وصفاته يستحيل أن يتوجه لغير الله عزَّوجلَّ، فكيف يطلب الرزق من قبر أو وثن من عرف الله جلَّ جلاله؟

كيف يقصد غير الله بأعماله من عرف الله سبحانه حق معرفته.

فالله سبحانه غني عظيم يرد منا أن نفرده بالعبادة ونقصد بها وجهه جلَّ وعَلا، في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مِنْ عَمَلِ عَمَلٍ أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ»^(١).

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ»^(١).

وفي الصحيحين عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(٢).

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(٣).

فمن طلب العلم ليُجادل أو ليُعجب الناس بعلمه حُرِمَ بركته، ومن عبد الله عَزَّوَجَلَّ وهو يلتفت بقلبه إلى المخلوقين لم يذق حلاوة العبادة، أما من كان قصده وجه الله جَلَّ جَلَالُهُ، طابت سريرته، وثبت قلبه، وصارت عباداته كلها خالصة لربه سبحانه الغني الحميد، الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.

فصحة أعمال الإنسان أقوال وأفعال أو كمالها وقبولها وترتيب الثواب عليها لا يكون إلا بحسب النية، فقبول العمل وإثابة الإنسان عليه لمن كانت نيته لله عَزَّوَجَلَّ به.

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٩٩)، ومسلم، برقم (٢٩٨٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (١)، ومسلم، برقم (١٩٠٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

ومن صدق مع الله عزَّجَلَّ وأخلص له سبحانه ثبته الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الصدق
يجلب معية الله جَلَّ جَلَالُهُ، ومن كان الله عزَّجَلَّ معه لا يضلّه شيء.

وكتبه / محمد بن عبدالله العبدلي





(٣) طلب العلم الشرعي والتفقه في دين الله على الثقات من أهل العلم

اعلم رحماني الله وإياك أن العلم الشرعي نورٌ من الله عزَّجَلَّ، وأصلُ الهداية، وأساسُ الاستقامة، وأعظمُ ما يثبت به العبد على دين الله جَلَّ جَلَالُهُ عند اضطراب الفتن، وتكاثر الشبهات والشهوات، وتنوع أهل الأهواء وتكاثر دعاة أهل الباطل، وتنوع أساليبهم ونشاطهم وجلدهم في نشر باطلهم، ومحاربة الحق وأهله.

فالعلم الشرعي نورٌ يقذفه الله جَلَّ وَعَلَا في القلوب، وميزانٌ تُوزن به الأقوال والأعمال، وبه تُعرف معالم الشريعة، ويتميز الحق من الباطل، والسنة من البدعة، والهدى من الضلالة.

طلب العلم الشرعي من أفضل القرب التي يتقرب بها الإنسان إلى الله عزَّجَلَّ والتفقه في دين الله جَلَّ وَعَلَا علامة خير لمن أقبل عليه، وعليك أيها المقبل على الطلب بالأخذ عن الثقات من أهل العلم، الذين عرفوا بسلامة العقيدة والمنهج، وليس كل من تكلم يُعد من العلماء ولا كل من تصدر أُخذ عنه العلم فقد أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم" (١).

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فالأخذ من أهل العلم من أعظم أسباب الثبات على الدين، وحراسة الإيمان والعقيدة، وسلامة المنهج في الدنيا والآخرة.

وإذا كانت الأجساد لا تقوم وتحيا إلا بالطعام والشراب الطيب، فإن القلوب لا تثبت ولا تحيا إلا بالعلم الصحيح الذي يُعرف به الحق من الباطل، والسنة من البدعة، والهدى من الضلالة، وبه يستقيم الاعتقاد على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن سار على منهجهم.

وقد دلت النصوص الشرعية على أن العلم مقدّم على القول والعمل، وبوب الإمام البخاري في صحيحه: "باب: العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى:

﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ [سورة محمد: ١٩] فبدأ بالعلم، «وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»^(١).

فلا يصح اعتقاد، ولا تستقيم عبادة، ولا يثبت القلب على طريق الحق والسنة، إلا بعلم صحيح راسخ؛ لكونه الأصل الذي تُبنى عليه سائر التكاليف الشرعية.

وبين الله عز وجل شرف العلم وأهله، وعلو منزلتهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [سورة المجادلة: ١١]، فدل ذلك على أن رفعة الدرجات ثمرة العلم؛ لما يورثه من بصيرة في الدين، وثبات عند الفتن،

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٤-٢٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وسلامه من الانحراف، قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١١] فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه^(١).

ويبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن التفقه في الدين علامة التوفيق، ودليل إرادة الخير بالعبد قال معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»^(٢)، فجعل الفقه في الدين ميزان الخيرية، لا مجرد كثرة العمل مع الجهل، ولا الحماسة الخالية من الدليل.

وإنما كان العلم سببًا للثبات على الحق؛ لأن الجهل أصل الزيغ، ومنشأ الانحراف، ومدخل الفتن، ولهذا نهى الله جَلَّ وَعَلَا عن القول والعمل بغير علم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَشْهُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٧١)، ومسلم في صحيحه، برقم (١٠٣٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فالعلم يحصن القلب ويمنع التقلب، ويضبط السلوك، ويقي من الانسياق خلف الشبهات والشهوات.

أخي الفاضل: اجعل طلب العلم الشرعي زادك وطريقك إن كنت تريد الثبات على الدين والهدى، فالعلم الشرعي هو التثبيت:

فيه تُدفع الشبهات، وتُعرف مداخل الفتن، ويثبت القلب عند الاضطراب.

وبه يرى العبد طريقه واضحًا، فلا يلتبس عليه الحق، ولا تغره الدعاوى، ولا يخدعه أهل الأهواء بشبهاتهم الزائفة.

وإن من أعظم ثمرات العلم الشرعي الخشوع والانكسار للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

"فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن

المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى

خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة البينة: ٨]"^(١).

وبالعلم الشرعي تُصان العقائد، وتستقيم الأعمال، ويعيش العبد في رقابة الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يقدم على معصية لعلمه بأن الله عَزَّجَلَّ مطلع عليه سميع بصير

لا تخفى عليه خافية، ولا يقع في شبهة لعلمه بفسادها وبطلانها.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فلا تُفَرِّط في مجالس العلم، فالزمن زمن فتن كقطع الليل المظلم، ولا يثبت فيه إلا من ثبته الله جَلَّ وَعَلَا بالعلم، فداوم على التعلُّم، وقرأ كتب أهل السنة، والزَم العلماء الراسخين، وتواضع للحق؛ فإن العلم من أجل العبادات، وهو من أيسر الطرق الموصلة إلى الجنة لمن صلحت فيها نيته فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»^(١)، وطريقه الصبر والإخلاص.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، ونسأله جَلَّ وَعَلَا علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، وبصيرةً نافذة، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يجنبنا ويعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٩٩).





(٤) قراءة القرآن وحفظه وتدبره والعمل به

اعلم أخي المبارك رحماني الله وإياك أن القرآن الكريم كلام الله عزَّوجلَّ وهو حبله المتين من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه وهجره تركه ضل وغوى، وإن من أعظم الوسائل التي تثبت الإنسان بإذن الله عزَّوجلَّ هو تلاوة كتابه وحفظه وتدبره والعمل به، فإذا كانت الأجسام تحتاج للأكل والشرب لتستمر في الحياة فإن كلام الله عزَّوجلَّ هو غذاء الروح والقلب، وهذا الذي يجعل الإنسان يثبت في زمن الفتن والشهوات والمغريات، حين يكون دائم الصلة بكلام الله عزَّوجلَّ.

وقد أشار الله جلَّ وعلا إلى هذه الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا

نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ [سورة

الفرقان: ٣٢]، بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حقيقة عظيمة وهي: أن التنزيل المفرق للقرآن كان لغاية تثبيت فؤاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف بقلوبنا نحن الضعيفة؟

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ [سورة الأنفال: ٢]، قال العلامة السعدي

رحمه الله: "﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع

ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب،





زاد السائر إلى الله عز وجل

ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلون، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وحده لا شريك له ﴿بِتَوَكُّؤُنْ﴾ أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدنيوية والدينيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك" (١).

أيها المبارك الساعي للثبات على هذا الدين، اجعل كلام الله عزَّجَلَّ رفيقك وصاحبك وصديقك:

- القرآن الكريم هو التثبيت: تلاوة القرآن الكريم بتدبر تُغذي الروح باليقين، وتُرسخ الإيمان في القلب، وتُزيل الشكوك والشبهات، قال الإمام الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإن من المعلوم أن من أحب محبوباً كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه" (٢).

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٣١٥).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) (ص: ٢٣٥).





- القرآن الكريم فيه القدوة: لكونه يحتوي على قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي قصص فيها ثبات وصبر على الأذى، فدراستها والتأسي بها تُعلمك كيفية مواجهة الابتلاءات والمحن بالصبر والثبات.

- القرآن الكريم للعمل: الثبات الحقيقي لا يكون إلا بالعمل بما في القرآن الكريم فمن عمل بأحكامه، ووقف عند حدوده، كان القرآن له إمامًا وقائدًا إلى الجنة، وسببًا لثباته في هذه الحياة على الحق والهدى.

- والقرآن الكريم أعظم الذكر، وأعظم ما يبعث الطمأنينة في النفس، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٨].

- والقرآن الكريم يربط الإنسان بالآخرة، يذكره بالموت والبعث والحساب، وأنه مسؤول عن مثقال الذرة، وفيه ذكر الجنة والنار وأوصافهما، فهذا يجعل الإنسان خائف من الله جَلَّ وَعَلَا ثم مما أعد للعاصيين في نار جهنم، ويطمع في رضى الله عَزَّوَجَلَّ وما يوصله إلى الجنة التي نعيمها لا ينقطع، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب رجل.

- القرآن الكريم يعرفك بالله جَلَّ جَلَالُهُ: فتقرأ في القرآن الكريم صفات الله جَلَّ وَعَلَا وعظمته، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فيجعل المؤمن يعيش في رقابة دائمة لله جَلَّ جَلَالُهُ، السميع البصير، الذي لا يخفى عليه شيء في





زاد السائر إلى الله عز وجل

الأرض ولا في السماء، فهذا يبعث على الثبات والرقابة لله جَلَّ جَلَالُهُ، فالله الله لا يراك الله عَزَّوَجَلَّ حيث هناك، ولا تجعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْوَنَ الناظرين إليك.

أيها الأخ الفاضل: لا تتأخر عن وردك اليومي من القرآن الكريم فإنه الزاد الحقيقي وأعظم مثبت على الحق والهدى، ف«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)، و«إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢)، فبادرْ لوردك منه قبل أن يُحال بينك وبينه، فإن القرآن الكريم هو الذي يثبتك في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

فكل آية تستطيع حفظها وتدبرها اجعل لك فيها نصيب، لا تتردد أنت في زمن تحتاج لما يثبتك، جاهد نفسك فأنت بحاجة إلى اغتنام الوقت بما يعود لك فيه بالخير، فإذا ذهبت الدقيقة والساعة من وقتك يستحيل رجوعها، وهكذا الأعمار تمضي، والسعدي من اغتنام وقته في الخير.

وفقني الله وإياكم لتلاوة القرآن حق تلاوته، والعمل به، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٨).





(٥) الابتعاد عن الشبهات والشهوات

من أسباب الثبات على الدين الابتعاد عن الشبهات والشهوات؛ لأنها أصل كل انحرافٍ في العقيدة والفكر والسلوك.

فالشبهات تفسد العقل والعقيدة، والشهوات تفسد القلب والعمل، ومن اجتمعت عليه الفتنتان زلّ عن الصراط المستقيم من حيث لا يشعر، وقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مَشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرَضَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يَوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنْ حَمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةٌ، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

فمن ترك ما اشتبه عليه حفظ الله عَزَّوَجَلَّ له دينه من التصدّع، ووقاه مزلق الفتن التي تتخفى أحياناً في صورة فكرٍ أو لذّةٍ أو طموحٍ بريء.

ونحن اليوم نعيش في زمنٍ كثرت فيه فتن الشبهات والشهوات، وتنوّعت فيه وسائل الوصول إليها حتى أصبحت تلاحق الإنسان في بيته وجيبه عبر الجوال

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٢)، ومسلم، برقم (١٥٩٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

والشاشات والنت والتلفاز، فلا نجاة إلا لمن عصمه الله عزَّجَلَّ، ووقاه بالعلم
النافع، واليقين الراسخ، ومجاهدة النفس عن مواطن الزلل.

والإنسان إذا ابتعد عن الشبهات حفظ الله جَلَّ وَعَلَا له بصيرته، وإذا جاهد شهوته
ودافعها لله جَلَّ جَلَالُهُ رفع الله سبحانه منزلته، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].

فالثبات لا يتحقق إلا لمن نظَّف طريقه من العوائق، وأشد العوائق عن الصراط
المستقيم ظلمةٌ هي شبهةٌ في العقل، وشهوةٌ في القلب؛ فاحذر أن تسكن فيك
إحداهما، فإنها كما قيل: يبدآن همسا وينتهيان هدمًا.

ثبتنا الله وإياكم على الحق والهدى، والحمد لله رب العالمين.





زاد السائر إلى الله عز وجل

(٦) المحافظة على النوافل بجانب المحافظة على الفرائض

اعلم أخي المبارك رحماني الله وإياك أن النوافل هي مفتاح محبة الله عزَّوَجَلَّ، وهي السياج الواقي الذي يحفظ الفرائض ويُقوي بنیان الإيمان، إن الثبات على الدين ليس بالفرائض وحدها، بل بالتقرب المستمر الذي يُورث المحبة الإلهية.

يقول الله جَلَّوَعَلَا في الحديث القدسي العظيم: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).

فهذا الحديث العظيم أبان فيه الله جَلَّوَعَلَا حقيقة عظيمة وهي: أن التقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا بفعل الفرائض أحب شيء إلى الله سبحانه، وبين أن التقرب إليه بالنوافل ليس مجرد زيادة في الأجر فحسب بل هو سبب لمحبتة سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ومن نال محبة الله، فقد وفقه الله وسدده وثبته، فلا يسمع إلا الخير، ولا يبصر إلا الخير، ويدفع عنه سمع الحرام، والنظر إلى الحرام، وكذا يوفقه ويسدده فلا تمتد يده للحرام، ولا يمشي إلى الحرام، وإن سأل الله جَلَّوَعَلَا أعطاه، وإن استعاذ به أعاده، فأبي فضل وخير في هذه الحياة أن يحبك الله عزَّوَجَلَّ فيوفقك لكل خير ويصرف عنك الشر والحرام.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٥٠٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

أيها الأخ الفاضل: أترغب في هذا الخير، أتريد الثبات على هذا الدين؟
 باختصار اجعل النوافل زادك، والنوافل متعددة ومتنوعة، فمنها السنن
 الرواتب، ومنها صلاة الضحى، وصلاة الليل، وصيام الاثنين والخميس وثلاثة
 أيام من كل شهر، وصيام ست شوال، ويوم عرفة وتاسوعاء مع عاشوراء،
 والصدقات والإحسان إلى الخلق، وغيرها، فالنوافل هي الطريق الأقصر والأقوى
 لنيل محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أحبه الله ثبتته، وعصمه من الزيغ والضلال.

والنوافل أيضًا حماية ربانية مباشرة، تُعينك على الثبات في مواجهة الشهوات
 والشبهات، وأيضًا النوافل تجبر النقص والخلل الذي يقع في الفرائض، وهي تُعدُّ
 بمثابة صمام أمان للعبادات الأساسية قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أول ما يحاسب به
 العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد
 خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الرب عَزَّوَجَلَّ: انظروا هل لعبدي من
 تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك**»^(١).

فلا تتأخر عن أي نافلة من النوافل فأنت بحاجة إلى ما يثقل موازينك ويثبتك في
 الحياة الدنيا والآخرة، والنوافل هي خير زاد في الحياة، وهي التي تُقوي صلتك بالله
 جَلَّ وَعَلَا، وترسخ قدمك على الصراط المستقيم. فبادر بها وأنت في صحة وعافية قبل
 أن يُجال بينك وبينها المرض أو الزلل وتنكب الصراط والانحراف والضلال.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٨٦٤)، والترمذي في سننه، برقم (٤١٣)، والنسائي في سننه، برقم (٤٦٥)، وأحمد
 في المسند، برقم (١٦٩٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٠٢٠)، وفي صحيح أبي داود (٨١٠ و٨١٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فكل نافلة تستطيع أداءها اجعل لك فيها نصيب، لا تتردد، جاهد نفسك وسارع
وسابق، فالأيام تمضي وكل ما ذهب يوم يقربنا إلى القبر، وفقني الله عز وجل وإياكم
للمحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل، وختم لنا ولكم بالحسنى وتوفانا
وهو راض عنا، والحمد لله رب العالمين.





(٧) الإكثار من ذكر الله عزَّوجلَّ

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن ذكر الله عزَّوجلَّ هو حياة القلوب، وهو الحصن الحصين الذي يقي المؤمن من وساوس الشيطان وزيف الفتن، فمن لازم ذكر الله جلَّ وعلا ثبتته الله سبحانه في الدنيا والآخرة.

إن الذكر أيها الأفاضل: ليس مجرد كلمات تُردد باللسان، بل هو حضور القلب مع الخالق، وهو صلة دائمة لا تنقطع.

يقول الله جلَّ وعلا آمراً وموجهاً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا

﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ [سورة الأحزاب: ٤١-٤٢]، فجعل الله الإكثار من

الذكر صفة للمؤمنين الصادقين، وسبباً لنجاتهم.

فيا طالب الثبات ثبتنا الله عزَّوجلَّ وإياك على الحق والهدى، اجعل ذكر الله جلَّ وعلا

ديدك:

- الذكر هو الثبات في المعركة: قال الله عزَّوجلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

فَأَثْبِتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [سورة الأنفال: ٤٥]. فجعل الله

الإكثار من الذكر سبباً مباشراً للثبات عند لقاء العدو، فكيف بالثبات أمام فتن الدنيا؟

- الذكر هو الطمأنينة: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ

اللَّهِ أَلَّا يَذْكُرِ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [سورة الرعد: ٢٨]. فمن اطمأن قلبه بذكر

الله جلَّ وعلا، لم تزعزعه الفتن ولم تُقلقه الشبهات، قال الحافظ ابن القيم رحمه الله:





زاد السائر إلى الله عز وجل

"أنه -يعني الذكر- قوت القلب والروح، فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحته لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر"^(١).

- الذكر هو النجاة: عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله**»^(٢). فمن أراد النجاة من عذاب الدنيا والآخرة، فليكثر من ذكر الله.

- والذكر سبب في ترك كثير من المنكرات والفتن: قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "أنه سبب اشتغال اللسان عن: الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل. فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٢٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٦٤٤).





زاد السائر إلى الله عز وجل

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله" (١).

فلا تتأخر أيها الأخ الفاضل عن لحظة ذكر لاحت لك فرصة، ولا تتردد في تسبيحة، أو تهليلة، أو تحميدة، أو استغفار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟" (٢).

فبادر به قبل أن يُحال بينك وبينه، فإن الذكر ليس مجرد عبادة مستقلة، بل هو من أعظم أسباب الثبات عند اضطراب القلوب.

وقد دعانا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المبادرة بالأعمال قبل أن تحل علينا الفتن كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» (٣).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "وفائدة المبادرة بالعمل إيمانه قبل شغل البال والحشد بالفتن، وقطعها عن العمل" (٤).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٣).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١١٨).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٤٠٥).





وقال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: "في هذا الحديث من الفقه الحث على مبادرة الفتن بالأعمال، فإن من الفتن ما يعرض للقلوب فتصبح مؤمنة وتسمي كافرة في تلك الفتنة، فتشبط العامل عن عمله، أو بعمله ما يعمل على ارتياب وشك؛ فلا ينفعه عمله، وهذه الفتن قد يكون فيها ما يعم الناس. وقد يكون فيها ما يخص، وأن منها الكلمة الخبيثة؛ التي يقذفها الشيطان على لسان ولي من أولياء الشيطان ليقولها، إما جاداً أو هازلاً، ليسمعها الضعيف القلب فيفتن بها؛ الفتنة التي لا يخلص منها إلى يوم القيامة؛ لأن القلوب كثيرة التقلب من ربة الحق، شديدة التطلع إلى منافذ الضلال، فإذا قذف في روعها شيء من المضللات وجد عندها داء قاتلاً وشرًا مستعداً، كالنار التي تقع في الخراق، فينبغي للإنسان أن يكون أشد خوفاً وهدراً على دينه وإيمانه، متعاهداً له بالذكر ومدارسة القرآن، وامثال أمر القرآن، بالنظر والتدبر والفكر المؤدي له إلى الحق صباح مساء؛ بل في كل وقت ونفس وساعة"^(١).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: "معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كترام ظلام الليل المظلم لا القمر"^(٢).

ومن الأعمال السهلة على الإنسان ذكر الله عزَّوَجَلَّ فإنه من أعظم الصوارف عن الفتن؛ وذلك لأنه شديد على الشيطان الداعي للشرور والفتن، قال الحافظ ابن

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٦٣-١٦٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣).





زاد السائر إلى الله عز وجل

القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: "فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة - يعني أن الذكر حرز من الشيطان - لكان حقيقاً بالعباد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه.

وإذا ذكر الله تعالى انخس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوضع وكالذباب، ولهذا سمي الوسواس الخناس أي يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي كف وأنقبض، قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس" (١).

وقال الحافظ ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: "فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدرَ عليها ويُحال بينه وبينها، إمّا بمرضٍ أو موت، أو بأن يُدركه بعضُ هذه الآيات التي لا يُقبل معها عمل.

قال أبو حازم: "إن بضاعة الآخرة كاسدة ويوشك أن تنفق، فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير".

ومتى حيل بين الإنسان والعمل لم يبق له إلا الحسرة والأسف عليها، يتمنى الرجوع إلى حالةٍ يتمكن فيها من العمل، فلا تنفعه الأمانة" (٢).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٦-٣٧)، وأثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، برقم (٣٤٧٧٤)، وأبو داود في الزهد، برقم (٣٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (٣/ ١١٤١-١١٤٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فكل ذكر تستطيع أن تُردده اجعل لك فيه نصيب، لا تتردد، جاهد نفسك، فأنت أيام، وإذا ذهبت الدقيقة من وقتك يستحيل رجوعها.
وفقني الله عزَّوجلَّ وإياكم للإكثار من ذكره وشكره وحسن عبادته، والحمد لله رب العالمين.





زاد السائر إلى الله عز وجل

(٨) المحافظة على الأذكار اليومية (حصن نفسك)

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أنه ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة من الأذكار الواردة التي يُحصن المسلم بها نفسه من الشرور والآفات، وتنال بها فضلاً عظيماً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي الحصن الحصين، وهي السلاح الذي لا يخطئ، وهي أيضاً بمثابة الجرعات الإيمانية الوقائية التي تُحصن المسلم في يومه وليلته.

إن المحافظة على أذكار الصباح والمساء وأذكار ما بعد الصلوات هي تطبيق عملي

لأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالإكثار من الذكر، حيث قال سبحانه: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥]، فهنا يأمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أن يذكروه

جَلَّ جَلَالُهُ كثيراً وهم في ساحات الوغى، ووقت منازلة الأعداء وهذا فيه إشارة أن

الذكر سبب في الثبات أمام أعداء الله عَزَّوَجَلَّ وسبب لفلاحهم ونصرهم.

وأثنى الله جَلَّ جَلَالُهُ على الذاكرين الله عَزَّوَجَلَّ كثيراً والذاكرات وأخبر بأنه جَلَّ وَعَلَا

أعد لهم مغفرة وأجرًا عظيماً فقال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الذي يذكر ربه

والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت»^(١)، وهذا في الذكر المطلق، وقد سبق الحديث

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٤٠٧)، ومسلم في صحيحه، برقم (٧٧٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

عنه في الحلقة السابقة، وهنا يرد سؤال: ما مقدار الذكر الذي يصير به المؤمن من
الذاكرين الله كثيرًا؟

يجيب على ذلك العلامة ابن الصلاح رَحِمَهُ اللهُ بقوله: إذا واظب على الأذكار
المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة في ليل العبد ونهاره،
وهي مبينة في كتاب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله تبارك وتعالى كثيرًا^(١).
فليحرص الإنسان المؤمن على المحافظة على الأذكار التي تشرع للعبد في يومه
وليلته، وأولها دعاء الاستيقاظ من النوم، ثم الدخول والخروج من المنزل وكذا
المسجد، وأذكار الصباح والمساء، والأذكار التي تقال بعد الصلوات، وأذكار النوم،
ليحيى قلبك يا عبدالله ويثبت على هذا الدين، وتكون لك حصنًا حصينًا من
الشیطان ووقاية من العين والحسد، وسبب في الرزق والوقت.

- فأذكار الصباح والمساء: هي بمثابة تأمين إلهي ليومك وليلتك. وورد في فضل
كل ذكر منها فضيلة نذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

سيد الاستغفار: عن شداد بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيد
الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على
عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي،
وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، قال: «ومن قالها من

(١) فتاوى ابن الصلاح (١/ ١٥٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»^(١).

ومنها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنني البارحة، قال: «أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك»^(٢).

ومنها: عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم تصبه فجأة بلاء، حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات، لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»^(٣).

ومنها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال: حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٥٠٨٨)، والترمذي في سننه، برقم (٣٣٨٨)، واللفظ لأبي داود، وأحمد في المسند، برقم (٤٤٦)، وحسنه محققو المسند، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند، والشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٤٢٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٩٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

هذه بعض الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، وهي بحمد الله موجودة في كتاب حصن المسلم، والكتاب لا يخلوا منه بيت والله أعلم.

- الأذكار التي تقال بعد الصلوات: إذا سلم العبد من صلاته استغفر ثلاثاً، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»^(١).

ومنها قراءة آية الكرسي: عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»^(٢).

ومنها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال: تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر»^(٣)، وغيرها.

أخي المبارك هذه بعض ما ورد من أذكار تقال بعد الصلوات كأمثلة على ما ورد فيها من فضل ولا أظن أنها تخفى على المصلين، لكن أحياناً قد يخفى فضلها على

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٥٩١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم (٩٨٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٤٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٥٩٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

الذاكر، فاحرص على أدائها فإنها إنها تُقوي الصلة بالله عزَّجَلَّ وتقوي إيمان العبد بربه جَلَّ وَعَلَا، وتُرسخ اليقين في القلب.

وليحرص الإنسان المؤمن أن يكون لسانه رطباً بذكر الله عزَّجَلَّ، ذكارةً للأذكار المطلقة والمقيدة، وليعلم أن كل ذكر ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو نور وهداية، فلا زمها بحضور قلب وتدبر لمعانيها لتكون على بصيرة من أمرك، ويثبت الله عزَّجَلَّ قلبك على الحق والهدى.

ولا تتأخر عن وردك من الأذكار، وذكر أهلك وأولادك بها وحفظهم إياها لتنال الثواب والأجر العظيم عند الله عزَّجَلَّ، بادر بها قبل أن يُحال بينك وبينها، أنت في صحة وعافية ولسانك في صحة وعافية فبادر وأشغل لسانك بها فالذكر على اللسان خفيف وثقيل في الميزان، فاللسان إن لم تشغله بالذكر والطاعة انطلق في المعاصي وجلب الآثام والأوزار بالوقوع في الغيبة والبهتان والنميمة، واشتغل بفضول الكلام المؤدي إلى الحرام ولا بد.

وتذكر أنك حين تذكر الله عزَّجَلَّ فإن ذلك سبب لذكر الله جَلَّ وَعَلَا لك، فأى منزلة وأي رفعة وفضل أن يذكرك الله جَلَّ جَلَالُهُ العظيم، جاهد نفسك فالزمن يسير والزاد قليل فلتنزود أيها الأفاضل بهذه العبادة العظيمة ولنحرص الأذكار المقيدة والمطلقة فكل دقيقة تذهب هي من عمرك وتقربك للقبر فإن لم تجعل لك فيها خيراً سيأتي يوم تتحسر على إضاعتها، أسأل الله العظيم أن يوفقنا وإياكم لذكره وتسبيحه





زاد السائر إلى الله عز وجل

وشكره وتعظيمه، وأن يوفقنا للمحافظة على الأذكار الواردة عن النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحمد لله رب العالمين.





زاد السائر إلى الله عز وجل

(٩) الإكثار من الدعاء لله عزَّ وجلَّ والاستعانة به

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن الدعاء هو العبادة، فأخلص النية وألح على الله جَلَّ وَعَلَا بالدعاء وطلب الهداية فمن طلب الهداية منه سبحانه بصدق هداه الله جَلَّ وَعَلَا، يقول الله جَلَّ جَلَّالُهُ في حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحيح مسلم فيما يرويه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم...»^(١).

ولأهمية الهداية نسألها الله جَلَّ وَعَلَا في كل ركعة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢).
[سورة الفاتحة: ٦].

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الدعاء لله عزَّ وجلَّ أن يثبته على الدين، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله، آمن بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»^(٣).

وأخرجه الترمذي^(٣)، أيضاً من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ مقارب لحديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٤٠)، وأحمد في المسند، برقم (١٢١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٧٩٨٧).

(٣) برقم (٣٥٢٢)، وأحمد في المسند، برقم (٢٦٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٨٠١).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وأخرجه أحمد في المسند من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «دعوات كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يدعو بها: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء، فقال: إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه»^(١).

فهذا الحديث العظيم أبان فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة عظيمة وهي: أن الثبات على الدين ليس بالذكاء، ولا بالعلم، ولا بالمنزلة، بل برحمة الله جَلَّ جَلَالُهُ وتوفيقه سبحانه.

فالدعاء سبب مباشر للهداية لأن الله سبحانه هو الهادي وييده كل شيء ومن ذلك الهداية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

والدعاء صلة عظيمة بين العبد وربّه جَلَّ وَعَلَا، فمن أكثر الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عَزَّوَجَلَّ له أبواب العلم والعمل ووفقه وشرح صدره للحق وقبوله ووقاه مسالك الهوى والضلال.

والدعاء أيضًا سبب للثبات بعد الهداية وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الدعاء أن يثبت الله جَلَّ جَلَالُهُ قلبه على الدين كما سبق.

وأيضًا وأنت تدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن تعبد الله سبحانه استشعر ضعفك وفقرك لله جَلَّ جَلَالُهُ واستشعر أيضًا عظمة الله وأنه بيده كل شيء، وقد أمرنا بالدعاء ووعدنا

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٤٦٠٤)، وصححه محققو المسند.





زاد السائر إلى الله عز وجل

بالإجابة في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة

البقرة: ١٨٦].

فالدعاء سلاح المؤمن، وزاد الموحد، وحصن الثابتين في زمن الفتن، ومن لازم
الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عزَّجَلَّ له أبواب الخير، ووقاه مواطن الزيغ
والضلال، وثبته على الصراط المستقيم حتى يلقي ربه جَلَّ وَعَلَا وهو راضٍ عنه.





(١٠) الزهد في الدنيا وزخرفها، ومصاحبة الصالحين

من أسباب الثبات على الدين الزهد في الدنيا ومعرفة حقيقتها؛ فالدنيا مهما اتسعت متاعُ زائل، وزخرفُ خادع، قال الله جَلَّ وَعَلَا في وصفها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فترته مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

فإذا أيقن الإنسان بفنائها، وأنها متاع زائل، ورأى بعين بصره وبصيرته سرعة انقضائها، وكم من أخوة وأحباب له قد رحلوا عنها وتركوها خلف ظهورهم، لم يأسف على ما فاته منها، ولم يعتز بزخارفها، بل يزهد فيها، ويطلب ما عند الله جَلَّ جَلَالُهُ والدار الآخرة.

ولا أعني بالزهد في الدنيا ترك المال أو العمل فيها، وإنما المراد بأن لا يكون المال في قلب الإنسان وإنما يكون في يده، بحيث أنه لا يفرح الإنسان بما أُعطي فهو مسؤول عنه من أين أتاه وفيم أنفقه، ولا يجزن على ما مُنع من زخرف الدنيا بل يجعل الدنيا مزرعةً للآخرة.

ومن عرف أن الآخرة هي الحياة الحقيقية استصغر ما دونها، واستقام قلبه على طاعة الله جَلَّ جَلَالُهُ، وثبت في مواطن الفتن؛ لأنه عرف حقيقة الدنيا وأنها ليست





زاد السائر إلى الله عز وجل

هدفاً يستحق أن يُفتن بها فإنها زائلة ولا بد، وأن الدار الحقيقية الدائمة هي الآخرة
فيزهد فيما سوى الباقية.

ومما يُعين على الثبات بعد معرفة حقيقة الدنيا مصاحبة الصالحين؛ فالقلب
يضعف وحده ويقوى بالجماعة، وقد أرشد الله عزَّجَلَّ لهذا في قوله سبحانه:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

فصحبة الصالحين تذكر بالله جَلَّ وَعَلَا، وتعين على طاعته لذا شرعت كثير من
العبادات جماعة، وتُذكر بالآخرة، وتُطفى نار الفتنة حين تشتعل، فالإنسان قد يزل
وحده، لكنه يثبت مع الرفقة الصالحة التي تذكره بالله جَلَّ جَلَالُهُ، وترده إلى الطريق
إذا ضعف.

فالزهد في الدنيا يُطهر القلب من التعلق بالزائل، ومجالسة الصالحين تُثبت القدم
على الحق والهدى، ومن جمعها فقد أخذ بأقوى أسباب الثبات على الدين.

أسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ أن ينفعني الله وإياكم بهذا التذكرة، وأن ينفع بها من اطلع
عليها، ونسأل الله عزَّجَلَّ أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يهدينا
الصراط المستقيم، وأن يبصرنا بطرق الضلال والهوى ويجنبنا، ويُيسر لنا طرق
الهداية والاستمرار عليها، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.





زاد السائر إلى الله عز وجل

هذا والله عزَّوجلَّ أعلى وأعلم، والحمد لله رب العالمين.





الباب الثاني: تزكية القلوب وإصلاح النفوس

القلب هو موضع نظر الرب سبحانه، وإذا صلح القلب صلح العمل، وإذا فسد فسد العمل كله.

ولهذا كانت العناية بإصلاح القلوب وتزكية النفوس من أعظم مقاصد الشريعة، إذ لا ينفع العبد يوم القيامة إلا قلبٌ سليم، امتلاً بمحبة الله وتعظيمه ومراقبته.

وفي هذا الباب مجموعة من المقالات التي تتحدث عن غذاء القلوب ودوائها، ومراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيم شأن القرآن الكريم، والتذكير بحقيقة الدنيا وسرعة زوالها، لعلها تكون سبباً في إيقاظ القلب وتجديد صلته بربه.

غذاء القلوب ودوائها

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدّر فهدى، والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي خضم صراعات الحياة وتسارع إيقاعها، قد يغفل الإنسان عن أهم جزء في كيانه، وأثمن ما فيه: قلبه. فالقلب ليس تلك المضغعة التي تضخ الدم فحسب، بل ذلك الملك الذي يسوس الجوارح كلها.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وإن السعادة الحقيقية للإنسان وشقائه الأبدي مرتبطان بصحة هذا القلب وسلامته، وقد أبدع الحافظ ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَشْخِصِ حَالِ هَذَا الْمَلِكِ، فبين لنا ما هو غذاؤه الذي يجيئه، وما هو داؤه الذي يمرضه، وكيف السبيل إلى دوائه وشفائه، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

فلنقرأ هذه الكلمات التي حق لها أن تكتب بهاء الذهب ولنصنع بقلوبنا إلى كلماته الذهبية النيرة، علنا نجد فيها الدليل إلى حياة قلوبنا وسعادتها. قال رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: "خلق الله سبحانه ابن آدم وأعضاءه، وجعل لكل عضو منها كمالاً، إذا فقد أحس بالألم، وجعل لملكها وهو القلب كمالاً، إذا فقدته حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والأحزان.

فإذا فقدت العين ما خلقت له من قوة الإبصار، وفقدت الأذن ما خلقت له من قوة السمع، واللسان ما خلق له من قوة الكلام، فقدت كمالها.

والقلب: خلق لمعرفة فطره ومحبهه وتوحيده والسرور به، والابتهاج بحبه، والرضى عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والبغض فيه، والموالاتة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، وأجل في قلبه من كل ما سواه، ولا نعيم له ولا سرور ولا لذة بل ولا حياة إلا

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم، برقم (١٥٩٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

بذلك، وهذا له بمنزلة الغذاء، والصحة، والحياة، فإذا فقد غذاءه، وصحته، وحياته؛ فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صوب إليه، ورهن مقيم عليه.

ومن أعظم أدوائه: الشرك والذنوب والغفلة والاستهانة بمحابه ومراضيه، وترك التفويض إليه، وقلة الاعتماد عليه، والركون إلى ما سواه، والسخط بمقدوره، والشك في وعده ووعيده.

وإذا تأملت أمراض القلب وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابها لا سبب لها سواها، فدوائه الذي لا دواء له سواه ما تضمنته هذه العلاجات النبوية من الأمور المضادة لهذه الأدوية، فإن المرض يزال بالضد، والصحة تحفظ بالمثل، فصحته تحفظ بهذه الأمور النبوية، وأمراضه بأضدادها.

فالتوحيد: يفتح للعباد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج، والتوبة استفراغ للأخلاق والمواد الفاسدة التي هي سبب أسقامه، وحمية له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار"^(١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ أَيضًا: "والذنوب للقلب بمنزلة السموم، إن لم تهلكه أضعفته، ولا بد وإذا ضعفت قوته، لم يقدر على مقاومة الأمراض، قال طيب القلوب عبدالله بن المبارك:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٥-١٨٦).





زاد السائر إلى الله عز وجل

رأيت الذنوب تमित القلوب *** وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب *** وخير لنفسك عصيانها
فالهوى أكبر أدوائها، ومخالفته أعظم أدويتها، والنفس في الأصل خلقت جاهلة
ظلمة، فهي لجهلها تظن شفاءها في اتباع هواها، وإنما فيه تلفها وعطبها ولظلمها لا
تقبل من الطبيب الناصح، بل تضع الداء موضع الدواء، فتعتمده وتضع الدواء
موضع الداء، فتجتنبه فيتولد من بين إثارها للداء، واجتنابها للدواء، أنواع من
الأسقام والعلل التي تعيي الأطباء ويتعذر معها الشفاء.
والمصيبة العظمى أنها تُركب ذلك على القدر فتبرئ نفسها، وتلوم ربه بلسان
الحال دائماً، ويقوى اللوم حتى يصرح به اللسان.
وإذا وصل العليل إلى هذه الحال، فلا يطمع في برئه إلا أن تتداركه رحمة من ربه،
فيحييه حياة جديدة، ويرزقه طريقة حميدة^(١).
وهكذا يتجلى لنا بوضوح أخي الحبيب! أن قضية القلب هي القضية الأولى؛
لأن صلاح هذا القلب سبب لصلاح سائر الجوارح، وبفساده تفسد كلها، وأن
رحلة البحث عن السعادة هي غوص في أعماق الذات؛ لتطهير هذا القلب الذي
بين جنبيك وتزكيتة.
فليكن همنا الأول والأكبر هو أن نلقى الله عزَّوَجَلَّ بقلب سليم، قلب يملؤه
التوحيد، وتغسله التوبة النصوح، ويزينه الرضا واليقين.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٦-١٨٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فلتتعاهد قلوبنا أيها الأفاضل اليوم، فالقلب محل نظر الرب جَلَّ وَعَلَا، فلنحرص

على نظافته وسلامته قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]، وسلامته إنما تكون بالنجاة من هذه الأدواء،

ومجاهدة النفس على ضدها.

اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك. ويا مصرف القلوب، صرف

قلوبنا إلى طاعتك.

اللهم إنا نسألك قلوباً سليمة، وألسنة ذاكرة، ونفوساً بك مطمئنة، اللهم املاً

قلوبنا بحبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

اللهم طهر قلوبنا من الشرك والنفاق، والغل والحسد، واجعلها عامرة بالإيمان

واليقين والتوحيد.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





زاد السائر إلى الله عز وجل

مراقبة الخالق عزَّوجلَّ في الحركات والسكنات

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١]، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلك أخي المبارك أن تتأمل في هذه الآيات المباركة:

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٠﴾ [البقرة: ١١٠] [سورة البقرة: ١١٠].

وقال جلَّ جلاله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣٢﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

وقال عزَّوجلَّ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨٣﴾ [سورة البقرة: ٢٨٣].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥﴾ [سورة آل عمران: ٥]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "يخبر تعالى أنه يعلم غيب السماوات والأرض، ولا يخفى عليه شيء من ذلك" (١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قول الله عزَّوجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١]: "أي: هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم كما قال: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [سورة المجادلة: ٦]."

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢ / ٦).





وفي الحديث الصحيح: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١)، وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب"^(٢).

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: "أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقبا لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه"^(٣).

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْتِثُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المجادلة: ٦]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ﴿فَيُنْتِثُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: يخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئا"^(٤).

وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يَرِي﴾ [سورة العلق: ١٤]، فالله جَلَّ جَلَالُهُ بصير بعباده وما يعملون، خبير بهم، يراهم، ويعلم أحوالهم وأعمالهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه جَلَّ جَلَالُهُ.

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٥٠)، وبرقم (٤٧٧٧)، ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم (٧)، قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٢٠٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٦٣).

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٤١).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فلنجعل هذه الآيات وغيرها كثير نصب أعيننا، ولنتذكرها في كل خطوة نخطوها، وفي كل كلمة ننطق بها، وفي كل فكرة تجول بالخاطر.

هذه الآيات أيها الأحبة كفيلة بأن تجعلنا نراقب الله عزَّجَلَّ في كل أحوالنا، فنستقيم على أمره، ونجتنب نهيه، فمراقبة الله جَلَّ وَعَلَا هي مفتاح مرتبة الإحسان.

أخي المبارك: ماذا لو استشعر الإنسان أن كاميرات المراقبة تلاحقه في كل مكان؟ كيف سينضبط سلوكه؟ والله عزَّجَلَّ المثل الأعلى.

فكيف بعيد يعلم أن خالق السماوات والأرض جَلَّ جَلَالُهُ يرقب حتى خلجات قلبه؟!؟

فلنحرص أيها الأفاضل: على ألا يرانا الله عزَّجَلَّ حيث نهانا، وأن يرانا جَلَّ وَعَلَا حيث أمرنا، فمراقبة الله عزَّجَلَّ هي بوصلة الاستقامة وأساسها، فليكن شعارنا في الخلوة والجلوة: (إن الله معنا، الله ناظرنا، الله شاهد علينا مطلع علينا)، فبالمراقبة لله عزَّجَلَّ ترتقي النفوس، وتصل إلى مرتبة الإحسان.

اللهم نسألك خشيتك ومراقبتك في جميع أعمالنا.

ونسألك يا الله أن تجعلنا ممن يعبدك كأنه يراك، وممن يستحي منك حق الحياء، وظهرت قلوبهم من الرياء، وعمرت سرائرهم باليقين.

اللهم ارزقنا حسن المراقبة لك في القول والعمل، واختم بالصالحات أعمالنا.





زاد السائر إلى الله عز وجل

التوكل على الله عبادة قلبية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٣]، والصلاة والسلام على نبينا محمد إمام المتقين المتوكلين القائل: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت»^(١)، وعلى آله وصحبه، أجمعين، أما بعد:

فإن من أهم العبادات القلبية عبادة التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أعلى مقامات توحيد الله جَلَّ وَعَلَا، والمسلم إذا عرف ربه معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته فإن ذلك يورث في نفسه ثقة عظيمة بالله عَزَّوَجَلَّ، فيركن إليه العبد، ويفوض أمره إليه، ويعلق قلبه به وحده دون سواه؛ لأن الله سبحانه وحده الذي يملك النفع والضر، والعطاء والمنع، والكفاية والنصر، وبهذا يجتمع شعث القلب، وتسكن النفس، ويطمئن العبد، ويستريح من ألوان المعاناة التي تحصل لغير المتوكلين على الله عَزَّوَجَلَّ، فهو بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كل لحظة، فالتوكل اعتماد القلب على الله سبحانه واستناده إليه وسكونه إليه، وتفويض الأمور كلها إليه سبحانه القادر على كل شيء القوي الخالق العظيم، وقطع علائق القلب بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

ولأهمية هذه العبادة العظيمة كان الحديث عنها في هذه الورقات، فاللهم إني أبرأ من حولي وقوتي، وأسأل الله التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل وأن

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها، برقم (١١٢٠)، و (٦٣١٧)، و (٧٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، برقم (٧٦٩)، و (٢٧١٧).





يجنبني الزلل في القول والعمل، وأسأله أن ينفع بها كاتبها وقارئها والمطلع عليها إنه سميع قريب مجيب، فأقول مستعيناً بالله سبحانه متوكلاً عليه:

تعريف التوكل

أولاً: التوكل في اللغة:

يقال: وَكَلَّ بِاللَّهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَاتَّكَل: اسْتَسَلَمَ إِلَيْهِ. وَتَوَكَّلَ بِالْأَمْرِ: إِذَا ضَمِنَ الْقِيَامَ بِهِ. وَوَكَّلْتُ أَمْرِي إِلَى فُلَانٍ: اعْتَمَدْتُ فِي أَمْرِي عَلَيْهِ. وَوَكَّلَ فُلَانٌ فُلَانًا: إِذَا عَجَزَ عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرٍ نَفْسَهُ، أَوْ وَثِقَ فِيهِ بِأَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهِ. وَوَكَّلَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ سَلَمَهُ ^(١).
وقال الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَحَقِيقَةُ التَّوَكَّلِ: إِظْهَارُ الْعِجْزِ وَالْاعْتِمَادُ عَلَى الْغَيْرِ" ^(٢).

ثانياً: التوكل في الاصطلاح:

لأهل العلم تعريفات متعددة منها:

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "هُوَ صَدَقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا" ^(٣).
وقال سعيد بن جبیر: "التوكل على الله جِماعُ الإِيْمَانِ" ^(٤).
وقال الحسن: "إِنَّ تَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَى رَبِّهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ ثِقَتُهُ" ^(٥).

(١) لسان العرب (١١ / ٧٣٤).

(٢) تاج العروس (٣١ / ٩٨).

(٣) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (٣ / ١٢٦٦).

(٤) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، برقم (٢٩٥٨٩)، و(٣٥٣٤٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

(٤ / ٢٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٢٦٢). وينظر: جامع العلوم والحكم (٣ / ١٢٦٦).

(٥) جامع العلوم والحكم (٣ / ١٢٦٦).





وقال الزبيدي رَحِمَهُ اللهُ: "التوكل: الثقة بما عند الله، واليأس مما في أيدي الناس"^(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "التوكل نصف الدين، ونصفه الثاني الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة"^(٢).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "التوكل هو صدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ في جلب المنافع، ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها"^(٣).

الأدلة على التوكل من القرآن الكريم

الآيات الأمرة بالتوكل

التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا عبادة قلبية يجب على كل مسلم أن يتعبد الله سبحانه بهذه العبادة، وقد أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ بها في كتابه الكريم في مواضع منها: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ [سورة المائدة: ٢٣].

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٢]، وهذه الآية تكررت في سبعة مواضع في القرآن الكريم في سورة آل عمران في موضعين، وفي سورة المائدة، وفي سورة التوبة، وفي سورة إبراهيم، وفي سورة المجادلة، وفي سورة التغابن.

(١) تاج العروس (٣١/ ٩٨).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١١٣).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ٦٣).





وأمر جَلَّ وَعَلَا بالتوكل عليه وأخبر أنه يجب المتوكلين، فقال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ

بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [سورة الفرقان: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٧].

الآيات المبينة لصفات المتوكلين

المتوكلون بين الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى صفاتهم في كتابه فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللَّهِ فَاعْلَمِيهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٤-٨٥].

فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٥].

الآيات المبينة لجزاء المتوكلين

وبين الله جَلَّ وَعَلَا جزاء المتوكلين عليه سبحانه فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٣].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [سورة الطلاق: ٢].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣].

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

﴾ [سورة النحل: ٩٩].





الأدلة على التوكل من السنة النبوية:

كما أن السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ورد فيها أحاديث كثيرة تدل على فضل التوكل على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** والحث عليه، ومن ذلك:

حديث عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: **«لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**^(١)، أخرجه الترمذي وأحمد.

وحديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقول: **«اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وبك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»**^(٢)، متفق عليه.

وحديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: **«اعقلها وتوكل»**^(٣)، أخرجه الترمذي، وحسنه.

وحديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقول: **«اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي**

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه، برقم (٤١٦٤)، وأحمد في المسند، برقم (٢٠٥)، وقال محققوه: "إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن هبيرة، فمن رجال مسلم"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها، برقم (١١٢٠)، و (٦٣١٧)، و (٧٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، برقم (٧٦٩)، و (٢٧١٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٥١٧)، وابن حبان في صحيحه، برقم (٧٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٠٦٨).





زاد السائر إلى الله عز وجل

آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر^(١)، أخرجه مسلم.

حقيقة التوكل، وضرورة الأخذ بالأسباب

فحقيقة التوكل أيها الأحبة: اعتماد القلب على الله عزَّوَجَلَّ مع الأخذ بالأسباب مع التيقن الكامل بأن الله هو الرازق الخالق المحيي المميت، لا إله غيره ولا رب سواه. والتوكل أعم من الاستعانة، فإن الاستعانة هي أن تطلب من الله أن يعينك على فعل أمر من الأمور.

أما التوكل فيدخل فيه الاستعانة، فتتوكل على الله في إعانتك على أمورك، والتوكل أوسع وأشمل من ذلك، فيدخل فيه التوكل على الله في جلب المنافع ودفع المضار، وغير ذلك من الأمور.

وللإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كَلامٌ نَفِيسٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهَذَا مَخْتَصَرٌ مِنْهُ: التَّوَكُّلُ مَرْكَبُ السَّائِرِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَوَّلِ قَدَمٍ يَضَعُهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى نَهَائِهِ، لَا يَتَأْتَى لَهُ السَّيْرُ إِلَّا بِهِ، وَتَمَّتْ نَزْلُ عَنْهُ انْقِطَاعَ لَوْقَتِهِ.

وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته؛ فجعل الله التوكل شرطاً في الإيمان، ودليلاً على صحة الإسلام، فدل على أن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٢٠)





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقد جمع الله بين التوكل والعبادة، والإيمان، والإسلام، والتقوى، والهداية؛ فالتوكل أعظم الوسائل، والإنابة أشرف الغايات، ولا سبيل إلى تلك الغاية إلا بهذه الوسيلة.

والعبد لا بد له من غاية مطلوبة، وهي عبادة الله والإنابة إليه، ووسيلة موصلة، وهي التوكل عليه والاستعانة به، فبقدر تحقيقه للتوكل يكون سيره إلى الله. والهداية والتوكل متلازمان؛ فمن كان على الحق كان أعظم توكلًا، لعلمه أن الله وليّ الحق وناصره، وكافي من قام به، فلا ينبغي لصاحب الحق أن يترك التوكل على الله.

والتوكل يجمع أصليين: علم القلب وعمله؛ فأما علمه فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكّله إليه، وأما عمله فسكونه إليه، وطمأنينته به، وتفويضه أمره إليه، ورضاه بتدبيره.

فمتى تحقق ذلك كان التوكل من أعظم أعمال القلوب، بل هو أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، وسائر أعمال الإسلام، إذ لا تقوم إلا به. والمقصود أن القلب إذا كان على الحق كان أعظم طمأنينة وثقة بالله، وأقوى توكلًا عليه، وإذا كان على الباطل انقطع عن الله، فلم يكن له ولي ولا نصير. فتدبر هذا السرّ العظيم: اقتران التوكل بالحق والهداية، وارتباط أحدهما بالآخر، فإن التوكل أصل الإيمان، وعليه التكامل^(١)، انتهى مختصرًا ملخصًا.

(١) ينظر: طريق المحرّتين وباب السعادتين (٢/ ٥٥٧-٥٣٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقد جمع الله بين الأصلين في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، فالعبادة له سبحانه والاستعانة به والتوكل عليه وحده لا شريك له.

فإذا تبين ذلك، وعلم العبد حقيقة التوكل، فإنه إذا جاءت الأمور على غير ما يتمنى كان شاكرًا لله عزَّوجلَّ، مفوضًا أمره إليه، غير خائفٍ ولا مضطرب؛ لأنه قد اعتمد على ربه الحكيم العليم سبحانه، وتوكل عليه حق التوكل. فحينئذ ينصره الله سبحانه ويؤيده، فيرضى بما قدر وكتب.

أقوال أهل العلم في الأخذ بالأسباب

ينبغي على الإنسان أن يأخذ بالأسباب لكن من غير اعتماد عليها، فالأخذ بالأسباب هو سيرٌ على السنن الكونية، وأن النافع والضار هو الله وحده، قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء"^(١).

واتخاذ الأسباب أمر مشروع فقد كان أكبر المتوكلين على الله وأعظمهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخذ الأسباب في مواقف كثيرة؛ ليبين لأمته أن اتخاذها لا ينافي التوكل، ففي طريقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الهجرة اتخذ دليلاً يرشده إلى الطريق، وخرج

(١) الفوائد (ص: ٨٧).





في وقت يغفل فيه الناس، ومن طريق غير الطريق التي تُسلك عادةً، وفي يوم أحد لبس درعين واحد فوق الآخر، ووضع المغفر على رأسه حين دخل مكة يوم الفتح. ومما يدل على أهمية الأخذ بالأسباب حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرْوِحُ بِطَانًا»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ معلقاً على الحديث: "إِخْبَارٌ بَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، وَأَنَّهُ لَا يُخْلِيهِمْ مِنْ رِزْقٍ قَطُّ كَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ فِي الطَّيْرِ، فَإِنَّهَا تَغْدُو مِنْ أَوْكَارِهَا خِمَاصًا فَيَرْزُقُهَا سُبْحَانَهُ حَتَّى تَرْجِعَ بِطَانًا مِنْ رِزْقِهِ وَأَنْتُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الطَّيْرِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، فَلَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَيْهِ لَرَزَقَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُونَ، وَلَمْ يَمْنَعْ أَحَدًا مِنْكُمْ رِزْقَهُ هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْإِخْبَارِ"^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع"^(٣).

مواقف نبوية في الأخذ بالأسباب

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه، برقم (٤١٦٤)، وأحمد في المسند، برقم (٢٠٥)، وقال محققوه: "إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن هبيرة، فمن رجال مسلم"، وصححه الألباني في

السلسلة الصحيحة، برقم (٣١٠).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ٢٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

واتخاذ الأسباب أمر مشروع فقد كان أكبر المتوكلين على الله عزَّجَلَّ وأعظمهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخذ الأسباب في مواقف كثيرة؛ لبيان لأمته أن اتخاذها لا ينافي التوكل:

الموقف الأول: في الهجرة: اتخذ دليلاً يرشده إلى الطريق، وخرج في وقت يغفل فيه الناس، ومن طريق غير الطريق التي تُسلك عادةً.

الموقف الثاني: في الحرب: في يوم أحد لبس درعين واحد فوق الآخر، ووضع المغفر على رأسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين دخل مكة يوم الفتح.

الموقف الثالث: في الرزق: أمر بالأخذ بالأسباب كما في حديث: «اعقلها وتوكل».

الفرق بين التوكل والتواكل

التوكل كما سبق لا بد فيه من اتخاذ الأسباب من غير اعتماد عليها، أما عدم الأخذ بها فهو تواكل وهو ليس من دين الله عزَّجَلَّ وقد قال الله سبحانه لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي في حالة ضعف ونفاس أمراً لها بفعل السبب: ﴿وَهَزِيْءَ إِلَيْكَ بِمِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٥]. يؤخذ من الآية أن الله سبحانه لا يكلف النفس ما لا تطيق بل يكفي أحياناً السبب اليسير، وقد يستغرب البعض ويقول: مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ ضعيفة وفي حال ولادة فكيف تهز هذه النخلة القوية الراسخة ليتساقط عليها الرطب.

فيقال: الله سبحانه أرد أن يعلمنا من خلال هذه القصة أهمية اتخاذ الأسباب ولو كانت الأسباب ضعيفة، فلم يكن لها حيلة في هذا الوقت إلا هذا العمل الضعيف،





زاد السائر إلى الله عز وجل

ولكن حين توكلت على الله تعالى حق توكله وعملت بالسبب الضعيف أعطاه الله ما تريده وأناها إياه.

فالله سبحانه قادر على إسقاط التمر بلا سبب ولكن لما كان السبب سنة كونية أمرها بهز الجذع، ثم إذا عُدِمَ الإنسان كل سبب ممكن فلا ينسى أعظم الأسباب وأقواها وهو دعاء الله عَزَّوَجَلَّ العَظِيمِ والاستغاثة به جَلَّ جَلَالُهُ.

فترك الأسباب أيها الأحبة قدح في العقل، والاعتماد عليها وترك التوكل قدح في التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع"^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "التوكل لا ينافي القيام بالأسباب. فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد"^(٢).

وقال: "فترك الأسباب المأمور بها قادح في التوكل. وقد تولى الحق إيصال العبد بها. وأما ترك الأسباب المباحة فإن تركها لما هو أرجح منها مصلحة فممدوح، وإلا فهو مذموم".

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٥).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١١٧ / ٢).





وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: "فإن من نفاها فتوكله مدخول، وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي: أن إثبات الأسباب يقدر في التوكل، وأن نفيها تمام التوكل. فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة"^(١).

والتوكل هو أحد أسباب ضعف الأمة، يجلس الواحد في بيته و ينتظر رزقه وهو لا يحرك ساكناً، ولا يفعل شيئاً، ويقول: أنا متوكل على الله.

وكذا انتظار الناس أن ينصرهم الله عَزَّوَجَلَّ على أعدائهم ولم يعدوا لذلك علماً ولا عدة، كما هو حال الأمة اليوم. والله المستعان.

أخرج البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى:

﴿تَكَزُّبُوا فَإِنَّ جَإِدَ النَّقْوَى﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]"^(٢).

فأنكر الله تعالى عليهم ادعاءهم التوكل وهم لا يتزودون بشيء مما يعينهم على أمور حجهم.

حكم التوكل

التوكل على الله سبحانه من أعظم الواجبات، وهو شرط الإيمان وذلك مفهوم قول الله سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٣]، فإذا انتفى التوكل انتفى الإيمان.

(١) مدارج السالكين (٢ / ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٥٢٣).





وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات كما أن الإخلاص لله واجب وحب الله ورسوله واجب. وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ونهى عن التوكل على غير الله"^(١). والآيات الواردة في الحث على التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ والأمر به سبق ذكرها، وكذا الأحاديث.

ثمرات التوكل

الحديث عن ثمرات التوكل يُحرِّك النفوس، ويدفعها إلى التمسك بهذا الخلق الإيماني العظيم، وذلك أن معرفة ثمرة العمل حافز على فعله والتحقق به، فمن ثمراته ما يلي:

الثمرة الأولى: التزام حدود الله ومجانبة الحرام

التوكل يبعثُ العبدَ على التزام حدود الله تعالى، ومجانبة الحرام: وذلك أن الإنسان إذا علم أن رزقه مقسوم، وأن ما كتب الله عَزَّوَجَلَّ له كائن لا محالة، وأنه مهما عمل واجتهد واحتال على طلب المال فلن يأتيه منه إلا ما كتب الله تعالى، فيكون مفوضاً إلى الله سبحانه أمره كله، ويطلب الرزق من حِلِّه، ويدع الحرام.

الثمرة الثانية: طمأنينة النفس وارتياح القلب

(١) مجموع الفتاوى (١٦ / ٧).





التوكل طمأنينة النفس وارتياح القلب، وطردهم: فإذا توكل العبد على ربه حق التوكل، كفاه همّه، وأراحه مما أهمّه، وأنزل عليه سكينته فاطمأن إلى حكمه الديني الشرعي، واطمأن إلى حكمه الكوني القدري.

الثمرة الثالثة: كفاية الله عزَّجَلَّ للمتوكل

ما يحصل من كفاية الله عزَّجَلَّ للمتوكل عليه في أموره كلها: قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٣]، أي كافيته. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبُهُ، أي: كافيته، ومن كان الله كافيَهُ وواقِيَهُ، فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضرُّه إلا أذى لا بدَّ منه؛ كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضرُّه بما يبلغ منه مراده؛ فلا يكون أبداً،...، وذكر كلاماً إلى أن قال: بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حقَّ توكلِهِ، وكادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً من ذلك، وكفاه ونصره" (١).

وقال الربيع بن خثيم في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [سورة الطلاق: ٢]: "من كل شيء ضاق على الناس" (٢).

الثمرة الرابعة: جلب المنافع ودفع المضار

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٦-٧٦٧).

(٢) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) (٢٣/ ٤٤٦)، و(٢٣/ ٤٤٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

التوكل من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار: قال الله سبحانه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٤]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَمَّا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ كَفَاهُمْ مَا أَهَمَّهُمْ وَرَدَ عَنْهُمْ بَأْسٌ مِّنْ أَرَادَ كَيْدَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى بَلَدِهِمْ ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ﴾ ﴿مِمَّا أَضْمَرَ لَهُمْ عَدُوَّهُمْ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾" (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فعقب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء، وهي تفيد السبب؛ فدل ذلك على أن ذلك التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله وفضل، وأن هذا الجزاء جزاء على ذلك العمل" (٢).

الثمرة الخامسة: محبة الله عزَّوجلَّ للمتوكلين

التوكل يورث محبة الله عزَّوجلَّ للعبد: إن الله سبحانه قد وعد عباده المتوكلين عليه بالمحبة، ووعد عزَّوجلَّ لا محالة واقع، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، والمحبة كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخصَّ العاملون، وإلى علمها شمر

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٢/ ١٧١).

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم (١/ ٩٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

السابقون، وعليها تفانى المحبون، نسيمها تروح العابدون. فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرّة العيون" ^(١). إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

الثمرة السادسة: قوة القلب وشجاعته

التوكل يورث قوة القلب وشجاعته وثباته، والصبر والتحمل: قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "فالقوّة كُلُّ القوّة في التّوَكُّلِ على الله، كما قال بعض السّلف: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ" ^(٢)، فالقوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه، وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما ينقص من التقوى والتوكل، وإلا فمع تحقّقه بهما، لا بد أن يجعل الله له مخرجا من كل ما ضاق على الناس، ويكون الله حسبه وكافيه" ^(٣).

الثمرة السابعة: النصر والتمكين

التوكل على الله عَزَّجَلَّ يورث العبد النصر والتمكين؛ لأن قوة المؤمن وثباته لا تكون إلا بالاعتماد على الله جَلَّ وَعَلَا، لا على قدراته وحده.

(١) مدارج السالكين (٣ / ٨).

(٢) رُوي مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنهما الزهد، لأحمد بن حنبل (ص: ٢٣٩)، والتوكل على الله، لابن أبي الدنيا (ص: ٤٩)، برقم (٩)، وتنبية الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٤٦٦)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٩ / ٣٧٤)، وفي سنده عبدالرحيم بن زيد العمي، وهو متفق على ضعفه، فهو ضعيف جداً كما في ضعيف الجامع، برقم (٥٦٢٧)، وفي السلسلة الضعيفة، برقم (٤٦٠٢).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢ / ٣٣١-٣٣٢).





فالعبد المتوكل يسير في أمره مطمئناً واثقاً بنصر الله عزَّوجلَّ وتمكينه له، مطمئناً أن كل مجد ونجاح من عنده جَلَّ وَعَلَا، وأنه لا غالب على من نصره الله سبحانه. قال الله عزَّوجلَّ قارناً بين النصر والتوكل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٠]، فالتوكل على الله جَلَّ جَلَالُهُ طريق الثبات والتمكين والنجاح.

الثمرة الثامنة: تقوية العزيمة والثبات

التوكل يقوي العزيمة والثبات على الأمر: لذلك أمر الله عزَّوجلَّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عزم أن يتوكل على الله تعالى فقال: ﴿إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، وكمال العبد بالعزيمة والثبات. فالعبد يُرزق قوة القلب وثباته عند الملمات، فلا تزعجه الحوادث، ولا تُقلقه تقلبات الأحوال؛ لأنه يعلم أن له رباً مدبراً حكيمًا، لا يجري في ملكه إلا ما فيه الخير له، وإن خفي عليه وجه الحكمة، وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه أي كافية ومن كان الله كافيته وواقية فلا مطمع فيه لعدوه"^(١)، فمن صدق توكله قوي قلبه، واطمأن، وثبت عند الشدائد، ولم يتزلزل أمام الفتن.

الثمرة التاسعة: الوقاية من تسلط الشيطان

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

التوكل على الله يقي بإذن الله عزَّجَلَّ من تسلُّط الشيطان: قال الله عزَّجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (١٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٩﴾ [سورة النحل: ٩٨-٩٩].

الثمرة العاشرة: دفع السحر والحسد والعين

التوكل على الله من أعظم أسباب دفع السحر والحسد والعين: سبق الإشارة إلى ذلك في الكلام على الثمرة الثالثة عند قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٣]، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: أن كثيراً من المرضى يُشْفون بلا تداوٍ ولا سيما أهل الوبرِ والقرى، بدعوة مستجابة أو رقية نافعة، أو قوة للقلب وحسن التوكل" (١).

الثمرة الحادية عشرة: تحصيل الرزق

التوكل من أسباب تحصيل الرزق: فمن توكل على الله عزَّجَلَّ فإن الله سبحانه يرزقه من حيث لا يحتسب، ويفتح له من أبواب الرزق ما لا يخطر له على باله؛ لأنه اعتمد على ربه الغني سبحانه، وفوض أمره إليه، ومن توكل على الله عزَّجَلَّ كفاه ولا بد قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) [سورة الطلاق: ٢-٣]، فجمع الله سبحانه وتعالى هنا بين التقوى والتوكل، وبين الرزق والكفاية.

(١) مجموع الفتاوى (٢١ / ٥٦٣)، بتصرف يسير.





الثمرة الثانية عشرة: طرد الكبر والعجب

التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ ينقي القلب من أوهام العظمة والغرور؛ لأن الإنسان حين يعلم أن كل أمره بيد الله جَلَّوَعَلَا، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا بإرادة الله سبحانه، يصبح متواضعاً خاضعاً لله تَبَارَكَوَتَعَالَى، بعيداً عن الكبر الذي يورث الغفلة، والعجب الذي يقطع صلة العبد بخالقه جَلَّجَلَالُهُ وبالناس. فالتوكل يجعل الإنسان يدرك أن القوة والنجاح والرزق جميعها بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يغتر بنفسه ولا بما يملك، ولا يستكبر على الناس أو يتعالى عليهم.

الثمرة الثالثة عشرة: الرضا بالقضاء

من أعظم ثمار التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ أن يملأ القلب الرضا بما قضاه الله عَزَّوَجَلَّ، ويعلم أن كل ما أصابه كان خيراً له، وما فاته كان شراً دفعه الله سبحانه عنه. فالمتوكل لا يجزع عند المصائب، ولا يفرح فرحاً مبالغاً عند النعم، بل يقف قلبه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ راضياً بما قسمه له، مؤمناً بأن الحكمة الإلهية تتجاوز علمه المحدود.

فالرضا بالقضاء من أعظم علامات الإيمان، وهو مفتاح السكينة وراحة النفس قال الله سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦]، فالراضي بالقضاء والقدر يرى الخير في كل ما يختاره الله عَزَّوَجَلَّ له.

الثمرة الرابعة عشرة: دخول الجنة بغير حساب





زاد السائر إلى الله عز وجل

التوكل سبب لدخول الجنة من غير حساب ولا عذب: كما في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فوصفهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم: «لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»^(١)، متفق عليه.

فالعبد المتوكل الصادق يملأ قلبه اليقين بالله جَلَّ وَعَلَا، ويؤدي الأعمال الصالحة بثقة وسكينة، متوكلاً على ربه عزَّجَلَّ في جميع أموره، عالماً أن الله كافٍ له، وأن جزاءه عند الله أعظم من حساب البشر.

فالتوكل الحقيقي هو باب للنعيم الأبدي بلا عناء ولا جزع.

الثمرة الخامسة عشرة: الغنى عن الخلق

التوكل يورث صاحبه الغنى عن الخلق: وهذه خلة شريفة، ومن افتقر إلى الناس ذلٌ وذهب ماء وجهه، واستثقله الناس، ومن استغنى عنهم واكتفى بالله عزَّ. قال الإمام ابن حبان البستي رَحِمَهُ اللهُ: "الواجب على العاقل: لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة.

وما توكلَّ أحد على الله جَلَّ وَعَلَا مِنْ صِحَّةِ قَلْبِهِ حَتَّى كَانَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهَا تَضَمَّنَ مِنَ الْكِفَالَةِ أَوْثَقَ عِنْدَهُ بِمَا حَوَتْهُ يَدُهُ إِلَّا لَمْ يَكِلْهُ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ، وَآتَاهُ رِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُ"^(٢).

فالسعيد من حقق التوكل، وفوض أمره إلى الله، فأغناه وكفاه، ونصره وهداه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٧٠٥)، و(٦٤٧٢)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢١٨).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٥٣).





درجات التوكل

الدرجة الأولى: معرفة الرب وصفاته

فالتوكل لا يتم ولا يحل للإنسان إلا بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ معرفة صحيحة بذاته وأسمائه وصفاته، فإذا اكتملت له هذه المعرفة عرف أن له رباً قادراً قوياً عزيزاً، رازقاً، يعطي ويمنع ويخفض ويرفع يعزُّ من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير، فكلما كان العبد بربه أعرف وأعلم كان متأهلاً للتوكل أكثر من غيره. فهذه الدرجة هي العلم بالمعبود جَلَّ جَلَالُهُ.

الدرجة الثانية: إثبات الأسباب والأخذ بها

إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها، فإنها لا تُطرح بالكلية، وسبق الكلام على المسألة في حقيقة التوكل وضرورة الأخذ بالأسباب، وأقوال أهل العلم في الأخذ بالأسباب..

الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في التوحيد

رسوخ القلب في مقام التوحيد، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيد، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه. فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ومن هاهنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب. وهذا حق. لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح. فالتوكل لا يتم إلا





برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها. فيكون منقطعاً منها متصلاً بها.
والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ^(١).

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ

أن يعتمد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ ويطمئن إليه ويسكن إليه، ويثق بتدبيره
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكون كما قال بعضهم: كالطفل الذي لا يعرف إلا ثدي أمه، ولا
يسكن إلا إليه ولا يطمئن إلا إليه.

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله جَلَّ وَعَلَا

حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، فحسن الظن به يدعو إلى التوكل عليه، وعلى قدر حسن
ظن العبد بربه وإرجائه له يكون توكله عليه، وإذا ساءت الظنون بالله عَزَّوَجَلَّ،
ضعف التوكل، ولهذا ذم الله الظانين بالله ظن السوء، ومن الظنون السيئة به
سبحانه: ظن الذين يظنون أن الله لا ينصر أوليائه، أو أن الله يُدِيلُ أعداءه على
أوليائه إدالةً مستمرة، وكذا قول أهل النفاق في وقعة الأحزاب: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٢]، وذلك حين وعدهم بكنوز كسرى
وقيصر، ووعدهم بفتوح عظيمة كفتح اليمن والشام وفارس، فلما رأى المنافقون
الأحزاب قد أحاطوا بالمدينة قال ما أخبر الله عن قولهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا
غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٢].

(١) من كلام الحافظ ابن القيم بتصرف واختصار ينظر: مدارج السالكين (١١٩/٢ - ١٢٠).





ونحن في هذه الأيام في أمس الحاجة إلى حسن الظن بالله عزَّجَلَّ وإلى تكثيره في القلوب، وتعظيمه وشرح القلوب وتوسيعها ببعث الأمل وتعريفها بصفات الله عزَّجَلَّ التي تدل على اقتدره وعلى حلمه وإمهاله للظالمين، والناس في حاجة إلى أن يذكرُّوا بسنن الله عزَّجَلَّ في التغيير ما يحتاجون إليه في مثل هذه الأيام، وإلا فإن الكثيرين قد يحصل لهم من الانهزام الداخلي والتشكك بوعده الله عزَّجَلَّ ما يُفضي بهم إلى أمور عظيمة من جهة الاعتقاد؛ ولهذا بعض أهل العلم فسر التوكل بحسن الظن بالله.

الدرجة السادسة: استسلام القلب

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "والدرجة السادسة: أن يستسلم القلبُ لربِّه، وأن تنجذب دواعيه كلها إليه"^(١).

الدرجة السابعة: التفويض

أن يفوض أمره إلى الله ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لأنه يعلم أن الله عليم، يَعْلَمُ الأمورَ كُلَّهَا، وهو حكيم يضع الأمور في مواضعها، وَيُوقِعُهَا في مواقعها، فإذا حصل اليقين بذلك مع وثوق بقوة الله عزَّجَلَّ وقدرته، فإنه يستسلم ويفوض أمره إلى الله عزَّجَلَّ. فالتفويضُ: "هو روح التوكل ولبُّه وحقيقته؛ وذلك أن تسلَّم أمورك كلها إلى فاطرك وبارئك سبحانه، وأن تُنزل به حوائجك ختیاراً لا اضطراراً"^(٢).

(١) مدارج السالكين (٢/١٢٢)، بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (٢/١٢٢)، بتصرف.





الدرجة الثامنة: الرضا

هي الرضا وهي ثمرة التوكل، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وهي ثمرة التوكل. ومن فسر التوكل بها فإنما فسر به بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله"^(١).

ثم نقل عن شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: "إن الرضا والتوكل يكتنفان المقدور، فالتوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه"^(٢).

وقد قرن الله عزَّوجلَّ بينهما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ** ﴾ [سورة التوبة: ٥٩].

وجمع بينهما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الاستخارة المشهور، الذي كان يعلمُّه أصحابه كما يعلمُّهم السورة من القرآن: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم»، فهذا توكل وتفويض ثم ختمه بسؤال الرضا بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وقدر لي الخير حيث كان ثم رضني»^(٣).
ومن دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأسألك الرضا بعد القضاء»^(٤)، فهذا سؤال لتحقيق الرضا بعد وقوع المقدور.

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٣٨٢)، و(٧٣٩٠).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢١٦٦٦)، ومعمر بن راشد في جامعه، برقم (١٩٦٤٧)، والنسائي في السنن الكبرى، برقم (١٢٢٩)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٠)، وابن حبان في صحيحه، برقم (١٩٧١)، وصححه إسناده الألباني في تحريج الكلم الطيب (ص: ١٠٩)، برقم (١٠٦)، وفي تحقيق الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (ص: ٩٠).





قال الشيخ السبب وفقه الله وسدده: "فهذه درجات ثمان إذا اجتمعت للإنسان كمل له التوكل، وإذا نقص شيء منها أو اختل، اختل توكله. والإنسان بحاجة إلى ملاحظة قلبه وعرض توكله على هذه الدرجات من أجل إصلاحه وتكميله"^(١).

قال أبو علي الدقاق: "التوكل ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض".

وقال: "التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية".

وسئل سهل عن التوكل فقال: "قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة"^(٢).

وقال بعض الحكماء: "التوكل على ثلاث درجات: أولاهما: ترك الشكائية، والثانية: الرضا، والثالثة: المحبة، فترك الشكائية درجة الصبر، والرضا سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين"^(٣).

و"على قد إيمان العبد يكون توكله"، كما قال الحافظ ابن القيم رحمه الله^(٤).

و"أعظم أنواع التوكل: التوكل في الهداية، وتجريح التوحيد، ومتابعة الرسول

صلى الله عليه وسلم، وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم"^(٥).

(١) أعمال القلوب (١/٤٧٦).

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية (١/٣٠٢).

(٣) التوكل على الله، لابن أبي الدنيا (ص: ٧١).

(٤) بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/٧٦٧).

(٥) الفوائد، لابن القيم (ص: ٨٦).





زاد السائر إلى الله عز وجل

هذا ما تيسر القول فيه، ونسأل الله العظيم أن يجعل قلوبنا عامرة بذكر الله
والتوكل عليه، والخوف منه، والخشية له جَلَّ جَلَالُهُ، وأن يرزقنا حبه وحب من يحبه
وحب كل عمل يقربنا إلى حبه، وأن يوفقنا لكل خير، بمنه وكرمه^(١).

(١) أصل المادة درس ألقيته لبعض الشباب بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٤٤٥ هجري.



خاتمة

بعد هذا العرض يتبين أن التوكل على الله ليس خُلُقًا ثانويًا، بل هو أصلٌ عظيم من أصول الإيمان، وركنٌ قلبي تقوم عليه حياة المسلم كلها. وقد ظهر من خلال ما سبق أن حقيقة التوكل تقوم على اجتماع أمرين لا ينفك أحدهما عن الآخر: اعتماد القلب على الله اعتمادًا صادقًا، مع الأخذ بالأسباب المشروعة دون تعلق بها.

كما يتضح أن الخلل في هذا الباب يقع غالبًا في طرفين:

١. إما الاعتماد على الأسباب ونسيان المسبب، وهذا ضعف في التوحيد.
٢. أو ترك الأسباب بدعوى التوكل، وهذا خلل في الفهم ومخالفة للشرع والعقل.

وقد أبرز البحث أن للتوكل آثارًا عظيمة في حياة الفرد، من أهمها: طمأنينة القلب، وقوة النفس، وتحقيق الكفاية، ودفع المخاوف، وجلب الرزق، والرضا بالقضاء، بل وبلوغ أعلى المراتب عند الله عَزَّوَجَلَّ. كما أن التوكل يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتحقيق التوحيد، وحسن الظن بالله، واليقين بوعدده.

وانطلاقًا من ذلك، يمكن إجمال أهم التوصيات فيما يلي:

١. العناية بإصلاح القلب وتعليقه بالله وحده، وتعزيز معاني التوحيد واليقين فيه.

٢. التوازن في باب الأسباب: بالأخذ بها امتثالًا، دون الاعتماد عليها قلبًا.

٣. تعميق حسن الظن بالله خاصة في أوقات الشدائد والابتلاءات.

٤. تربية النفس على التفويض والرضا بعد بذل الجهد واتخاذ الوسائل.

٥. إحياء هذا المعنى في واقع الأمة؛ لما له من أثر في القوة والثبات والنهوض.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وفي الختام، فإن التوكل ليس مقاماً يُنال بكثرة الكلام، بل هو حالٌ يُبنى بالعلم،
ويقوى بالمجاهدة، ويظهر أثره في السلوك والعمل. فمن صدق مع الله في توكله،
كفاه الله، وهداه، وشرح صدره، وجعل له من كل ضيق مخرجاً.
أسأل الله عزَّوجلَّ أن يرزقنا صدق التوكل عليه سبحانه، وكمال الاعتماد عليه، وأن
يجعل قلوبنا معلقة به وحده جَلَّ وَعَلَا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
وسبحان من يتفضَّل على من يشاء بما شاء، والله ذو الفضل العظيم، سبحان ربك
رب العزة عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

كتبه / أبو عبد الله

محمد بن عبد الله بن محمد حزام العبدي

غفر الله له ولوالديه وأرواحه والمسلمين.

آخر تسجيل عليه مساء الأربعاء ليلة 29 من شهر رمضان

1447هـ جري.





الله لطيف بعباده

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، القائل في كتابه الكريم: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [سورة الشورى: ١٩]، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله الأطهار وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أسماء الله عزَّوجلَّ اللطيف، قال العلامة عبدالرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: "اللطيف" الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى "الخير" وبمعنى "الرؤوف"^(١).

وستأمل في هذه الورقات بعض لطف الله عزَّوجلَّ بعباده، ونبين ذلك بكلام أهل العلم، بعد نقل كلام المفسرين على قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾

﴿بِرِزْقٍ مِّنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [سورة الشورى: ١٩]، قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: "قوله عزَّوجلَّ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ قال ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: حفيُّ بهم. قال عكرمة: بارٌّ بهم. قال السُّدِّيُّ: رفيقٌ. قال مقاتلٌ: لطيفٌ بالبرِّ والفاجر حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم، يدلُّ عليه قوله: ﴿بِرِزْقٍ مِّنْ يَشَاءُ﴾، وكلٌّ من رزقه الله

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٩٤٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

من مؤمنٍ وكافرٍ وذو روحٍ فهو ممن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفرُ الصادق: اللطف في الرزق من وجهين:

أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات.

والثاني: أنه لم يدفعه إليك بمرّةٍ واحدةٍ" (١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "يقول تعالى مخبراً عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم، لا ينسى أحداً منهم، سواءً في رزقه البرّ والفاجر، كقوله تعالى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة هود: ٦]، وَلَهَا نَظَائِرٌ كَثِيرَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أَي: يُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، ﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (١٩)

أَي: لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ" (٢).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده - وخصوصاً المؤمنين - إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل) - طيبة (٧/ ١٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٧/ ١٩٧)، ت السلامة.



زاد السائر إلى الله عز وجل

فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب اقتضاء حكمته ولطفه، ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^(١) الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء^(١).

ومن لطفه عزَّجَلَّ بأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الشياطين ومردة الشياطين تُغل في شهر رمضان المبارك، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: "وفي شهر رمضان يُلطف

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٧٥٦).





زاد السائر إلى الله عز وجل

الله بأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيغل فيه الشياطين ومردة الجن حتى لا يقدرُوا على ما كانوا يقدرُونَ عليه في غيره من تسويل الذنوب"^(١).

وللعلامة ابن سعدي رَحْمَةُ اللهِ كَلَامًا طَوِيلًا رَائِعًا أَنْقَلَهُ بِطَوْلِهِ لِحِمَالِهِ وَأَهْمِيَّتِهِ، فَقَالَ رَحْمَةُ اللهِ: "ومن لطفه بهم أنه يقدر عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن، والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم، ولطفًا، وسوقًا إلى كمالهم، وكمال نعيمهم:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

ومن لطيف لطفه بعبده إذ أهله للمراتب العالية، والمنازل السامية التي لا تدرك بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية، والعزائم السامية أن يقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أهل لها ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ولتتمرن نفسه ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر، وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في ابتداء أمرهم رعاية الغنم؛ ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم.

(١) لطائف المعارف، للحافظ ابن رجب (ص: ٣٢٣)، ت عوض الله.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وكذلك يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات فينجذب ويرغب ويصير له ملكة قوية بعد ذلك على طاعات أجل منها وأعلى، ولم تكن تحصل بتلك الإرادة السابقة حتى وصل إلى هذه الإرادة والرغبة التامة.

ومن لطفه بعبده أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح، والعلم، والإيمان وبين أهل الخير ليكتسب من أديهم، وتأديتهم ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم

كما امتن الله على مريم في قوله تعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة منها، بل من أكثرها وأعظمها نفعاً هذه الحالة.

ومن ذلك إذا نشأ العبد في بلد أهله على مذهب أهل السنة والجماعة فإن هذا لطف له، وكذلك إذا قدر الله أن يكون مشايخه الذين يستفيد منهم الأحياء منهم والأموات أهل سنة وتقى، فإن هذا من اللطف الرباني، ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في أثناء قرون هذه الأمة وتبيين الله به وبتلامذته من الخير الكثير والعلم الغزير، وجهاد أهل البدع والتعطيل، والكفر،





زاد السائر إلى الله عز وجل

ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات فلا شك أن هذا من لطف الله لمن انتفع بها، وأنه يتوقف خير كثير على وجودها، فله الحمد والمنة والفضل.

ومن لطف الله بعبده أن يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة يحصل به المقصود ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل، بل يعينه على ذلك ويفرغه، ويريح خاطره، وأعضاءه، ولهذا من لطف الله تعالى لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته فيعلم الله تعالى أنها تضره، وتصده عما ينفعه فيحول بينه وبينها فيظل العبد كارهاً ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار، ولهذا كان الرضى بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل.

ومن لطف الله بعبده إذا قدر له طاعة جلييلة لا تنال إلا بأعوان أن يقدر له أعواناً عليها ومساعدين على حملها، قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ (٢١) هُنُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيحكَ كَثِيراً ﴿٣٣﴾ وَنَذْكركَ كَثِيراً ﴿٣٤﴾ [سورة طه: ٢٩-٣٤].

وكذلك امتن على عيسى بقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ١١١].





زاد السائر إلى الله عز وجل

وامتن على سيد الخلق في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَبْرِهِ وَيَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢]، وهذا لطف لعبده خارج عن قدرته، ومن هذا لطف الله بالهادين إذا قيض الله من يهتدي بهداهم، ويقبل إرشادهم فتضاعف بذلك الخيرات والأجور التي لا يدركها العبد بمجرد فعله، بل هي مشروطة بأمر خارجي.

ومن لطف الله بعبده أن يُعطي عبده من الأولاد، والأموال، والأزواج ما به تفرغ عينه في الدنيا، ويحصل له السرور، ثم يتلوه ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب فنعمة الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا أيضًا خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه، بل هو لطف من الله له قيض له أسبابًا أعاضه عليها الثواب الجزيل والأجر الجميل.

ومن لطف الله بعبده أن يتلوه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها فينيله درجات عالية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك كما فعل بأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة وكشف الضر فيخف ألمه، وتنشط نفسه.

ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر فنخفت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.





زاد السائر إلى الله عز وجل

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتنقص إيقانه، كما أن من لطفه بالمؤمن القوي تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ويعينه عليها ويحملها عنه، ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجره فسبحان اللطيف في ابتلائه وعافيته وعطائه ومنعه.

ومن لطف الله بعبده أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه، فييسر عليه التعلم من كتاب أو معلم يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل، وكذلك ييسره لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه فهذا من اللطف.

ومن لطف الله بعبده قدر الواردات الكثيرة والأشغال المتنوعة والتدبير والمتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قسمت على أمة من الناس لعجزت قواهم عليها أن يمن عليه بخلق واسع، وصدر متسع، وقلب منشرح بحيث يعطي كل فرد من أفرادها نظراً ثاقباً، وتدبيراً تاماً وهو غير مكترث ولا منزعج؛ لكثرتها وتفاوتها، بل قد أعانه الله تعالى عليها ولطف به فيها، ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها، وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر فانظر إلى حالة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله بصلاح الدارين، وحصول السعادتين، وبعثه مكماً لنفسه ومكماً لأمة عظيمة هي خير الأمم، ومع هذا مكنه الله ببعض عمره الشريف في نحو ثلث عمره أن يقوم بأمر الله كله على كثرته وتنوعه، وأن يقيم لأمتهم جميع دينهم، ويعلمهم





زاد السائر إلى الله عز وجل

جميع أصوله وفروعه، ويخرج الله به أمة كبيرة من الظلمات إلى النور، ويحصل به من المصالح والمنافع والخير والسعادة للخاص والعام ما لا تقوم به أمة من الخلق.

ومن لطف الله تعالى بعبده أن يجعل ما يتليه به من المعاصي سبباً لرحمته، فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع والابتهال إلى ربه، وازدراء نفسه واحتقارها، وزوال العجب والكبر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة واسترسلت في ذلك أن ينقصها عليه، ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئاً إلا مقروناً بالمكدرات، محشواً بالغصص؛ لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له التقربات، ويحلي له الطاعات؛ ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده أن يأجره على أعمال لم يعملها، بل عزم عليها فيعزم على قربة من القرب ثم تنحل عزمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها فيحصل له أجرها، فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه، وأدارها في ضميره، وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سوقاً لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

واللطف من ذلك أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها هي أنفع له منها فيدع العبد الطاعة التي ترضى ربه لطاعة أخرى هي أَرْضَى الله منها فتحصل له المفعولة بالفعل، والمعزوم عليها بالنية، وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجره على الله مع أن قطع الموت بغير اختياره





زاد السائر إلى الله عز وجل

فكيف بمن قطعت عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها! وربما أدار الله في ضمير عبده عدة طاعات، كل طاعة لو انفردت لفعلها العبد لكمال رغبته ولا يمكن فعل شيء منها إلا بتفويت الأخرى فيوفقه للموازنة بينها، وإيثار أفضلها فعلاً مع رجاء حصولها جميعها عزمًا ونية.

واللطف من هذا أن يقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها؛ ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات.

كما لطف بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في مراودة المرأة. وأحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين^(١).

ومن لطف الله بعبده أن يقدر خيرًا وإحسانًا من عبده ويجريه على يد عبده الآخر، ويجعله طريقًا إلى وصوله إلى المستحق فيثيب الله الأول والآخر.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه، أخرجه البخاري، برقم (٦٦٠)، و(١٤٢٣)، و(٦٨٠٦)، ومسلم، برقم (١٠٣١)، ولفظ الحديث: «سبعة يظلمهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».





زاد السائر إلى الله عز وجل

ومن لطف الله بعبده أن يجري بشيء من ماله شيئاً من النفع وخيراً لغيره فيشبهه من حيث لا يحتسب، فمن غرس غرساً أو زرع زرعاً فأصابته منه روح من الأرواح المحترمة شيئاً آجر الله صاحبه وهو لا يدري خصوصاً إذا كانت عنده نية حسنة وعقد مع ربه عقداً في أنه مهما ترتب على ماله شيء من النفع فأسألك يا رب أن تأجرني، وتجعله قرابة لي عندك، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بدها وركوبها والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكناها ولو شيئاً قليلاً، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك ككتاب انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قرئ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطف الله بعبده أن يفتح له باباً من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلّة رغبته فيه وإنما هو غفلة منه وذهول عن ذلك الطريق فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه، والملفت إليه، وفرح بذلك وعرف أنها من ألطاف سيده وطرقه التي قيض وصولها إليه، فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره، وأدرك منها ما شاء الله" (١).

فنسأل الله العظيم اللطيف أن يلطف بنا ويرحمنا برحمته وأن يوفقنا لكل خير، ونسأل جَلَّ وَعَلَاً بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يلطف بعباده في أرض الرباط

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص: ٢٢٨-٢٣٣).





زاد السائر إلى الله عز وجل

أرض العزة والكرامة، ويدفع عنهم ويحفظهم بحفظه ويرزقهم من حيث لا
يحتسبون.

ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يلفظ بنا وبجميع المسلمين ويوفقنا لطاعته ورضاه، ونسأله
أن يقيض لنا الأسباب التي تحول بيننا وبين المعاصي والآثام، والحمد لله رب
العالمين.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى الله بنو فائق الألباني سبأنة/

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدي

غفر الله له ولوالديه وأزواجه وإخوانه وجميع المسلمين

ليلة الثلاثاء ١٧ ربيع الأول ١٤٤٧ هجرية.





زاد السائر إلى الله عز وجل

مهما عظم ذنبك فأبشر

الحمد لله التواب الغفور الرحيم، والصلاة والسلام على السراج المنير نبينا محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أخي الحبيب:

اعلم رحماني الله وإياك أن الله عزَّجَلَّ رحيم غفور يفرح بتوبة عبده وإنابته إليه، فلا يأس ولا قنوط، مهما عظم ذنبك وكثر ذلك فأبشر إن الله عزَّجَلَّ غفور رحيم قال في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن

قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ [سورة الزمر: ٥٣-٥٤].

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: "يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: ﴿قُلْ﴾ يا أيها

الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبر للعباد عن ربهم: ﴿يَعْبادِي الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في

مساخط علام الغيوب.





زاد السائر إلى الله عز وجل

﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مائة للموجود، تسح يدها من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلها أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم.

ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ بقلوبكم، ﴿وَأَسْلِمُوا لِلَّهِ﴾ بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لِلَّهِ﴾ دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً.

﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ﴾ مجيئاً لا يدفع، ﴿ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ فكأنه قيل: ما هي الإنابة والإسلام؟ وما جزئياتها وأعمالها؟

فأجاب تعالى بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة الزمر: ٥٥] مما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، ومحبة الخير لهم، وترك ما يضاد ذلك.

ومن الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب المسلم، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٥٥]، وكل هذا حثٌّ على المبادرة وانتهاز الفرصة^(١).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحته، فبينما هو كذلك إذا هو

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٧٢٧-٧٢٨).





زاد السائر إلى الله عز وجل

بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»^(١).

أيها المذنب وكلنا ذلك: أمرنا الله جميعاً بالتوبة والإنابة فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٣١].

ثم وعد بالقبول فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [سورة الشورى: ٢٥].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتمايم لطفه، بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوبهم ويندمون عليها، ويعزمون على أن لا يعاودوها، إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعد ما انعقدت سبباً للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية.

﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريماً، كأنه ما عمل سوءاً قط، ويحبه ويوفقه لما يقر به إليه.

ولما كانت التوبة من الأعمال العظيمة، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصها، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٤٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ (٢٥) فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا -بحسب الاستجابة له- إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة الشورى: ٢٦]، أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له ويلبون دعوته، لأن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، وهو الغفور الشكور.

وزادهم من فضله توفيقاً ونشاطاً على العمل، وزادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب والفوز العظيم.

وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به وبرسله، ف﴿لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ﴾ (٢٦) [سورة الشورى: ٢٦] في الدنيا والآخرة" (١).

فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

هذه عقيدتنا وظننا بربنا الرحيم الرحمن، وهذا لا يعني أن نسيء الأدب مع ربنا جَلَّ وَعَلَا فنبارزه بالمعاصي والذنوب ونسوف التوبة فالآجال بيده خالقنا ولا أحد يعلم متى سينزل به، فكم نعرف من أحباب وأصحاب وجيران هجم عليهم الموت

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٧٥٨).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وهم في أتم الصحة والعافية، فعلينا الرجوع إلى الله عزَّجَلَّ والتوبة الصادقة النصوح
حتى يبدل الله سبحانه سيئاتنا حسنات.

فاللهم وفقنا للتوبة الصادقة النصوح، وحبب إلينا الطاعات وكره إلينا المعاصي
والسيئات، ووفقنا للمسارعة والمحافظة على الفرائض والطاعات، والحمد لله رب
العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





اجعل القرآن زادك إلى الآخرة

أخي الفاضل:

اجعل القرآن الكريم زادك لآخرتك، ومصباح طريقك في ظلمات الحياة، واقرأه لا يُقال: قرأت، ولكن ليكون لك نوراً حين تظلم الطرق، وأنيساً إذا أوحشت القلوب، وسكينةً إذا اضطربت النفوس.

فالقرآن ليس كلمات تُتلى فحسب، بل هو حياة للقلوب، وشفاء للصدور، ونورٌ يبدد ظلمات الحيرة والضلال. إنه الرفيق الذي لا يملّ صحبتك، والهادي الذي يرشدك إلى سواء السبيل، والشفيع الذي يقف معك يوم يقف الناس فرادى بين يدي الله عزَّوجلَّ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فاجعل بينك وبين القرآن عهداً لا ينقطع؛ تلاوةً بلسانك، وتدبراً بقلبك، وعملاً بجوارحك.

فإنه حياة القلوب بعد قسوتها، ونور الصدور بعد ظلمتها، وسبب رفعة الدرجات في الدنيا والآخرة.

وما أعظم منة الله عزَّوجلَّ على عباده بهذا الكتاب العظيم، الذي جعله هدايةً للناس، ورحمةً للمؤمنين، فقال جلَّ جلاله: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٩].

ومن فضائل هذا الكتاب العظيم ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث

كثيرة، منها:





زاد السائر إلى الله عز وجل

حديث أبي أمامه الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

«**اقْرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»^(١).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خيركم من تعلم**

القرآن وعلمه»^(٢).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أفضلكم من**

تعلم القرآن وعلمه»^(٣).

وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقال**

لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر

آية تقرؤها»^(٤).

فهذه البشارات العظيمة تدل على أن القرآن ليس كتاب تلاوة فحسب، بل هو

طريق رفعة في الدرجات، وسبب نجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أخي المبارك: طوبى لمن كان القرآن العظيم ربيع قلبه، ونور صدره، وجلاء

حزنه، وذهاب همّه، وقائده إلى رضوان الله عزَّجَلَّ، فاستنار به في دنياه، وكان له نوراً

يوم يلتقى ربّه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٨٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (١٤٦٤)، والترمذي في السنن، برقم (٢٩١٤)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"،

وأحمد في المسند، برقم (٦٧٩٩)، وحسنه الشيخ الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، برقم (٥٤)، وبرقم

(٣٨٣٩)، وقال الشيخ الألباني: "إسناده حسن صحيح" في صحيح أبي داود، برقم (١٣١٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فاحرص أخي الكريم أن يكون لك مع القرآن الكريم وردٌ لا تتركه، وأن يكون لك معه تدبُّرٌ وعملٌ لا ينقطع، فإن الأيام تمضي سريعاً، والعمر مراحل قصيرة، والسعيد من ملأ صحيفته بكلام الله عزَّوجلَّ.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا.

ونسأله جلَّ وعَلا أن يجعله حجةً لنا لا علينا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا، وأن يرفعنا به في الدرجات، ويجعلنا من أهله وخاصته، وأن يجعله شفيعاً لنا يوم نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

مساء يوم الجمعة ٢٤ رمضان ١٤٤٧ هجرية

اليمن - صنعاء





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقفات مع آية (فاتخذوه عدواً)

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة فاطر: ٦]،

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنزل القرآن العظيم للعمل به وتدبره، والوقوف عند حدوده، فيه الأمر والنهي والتوجيه والإرشاد والترغيب والترهيب، والتحذير، والقصص

وذكر خبر من قبلنا؛ لأخذ العبرة قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ

لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

ومن ذلك أيها الأفاضل: بين لنا عدونا اللدود في كتابه الكريم، وأمرنا بأن نتخذه

عدواً لنا، وفي هذا تحذير لنا منه ومن اتباع خطواته والسير في سبيله، فقال الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

السَّعِيرِ﴾ [سورة فاطر: ٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد





زاد السائر إلى الله عز وجل

العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغرركم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ

﴿٦﴾ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو

العدو المبين.

فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والافتقار بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير" (١).

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: "﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: عادوه

بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أي: أشياعه وأولياءه ﴿لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ

السَّعِيرِ﴾ ﴿٦﴾ أي: ليكونوا في السعير، ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال: ﴿الَّذِينَ

كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ [سورة

فاطر: ٧]" (٢).

فـ" ﴿الشَّيْطَانَ﴾ الذي هو عدوكم في الحقيقة ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: لتكن منكم

عداوته على بال، ولا تهملوا محاربتة كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائماً

لكم بالمرصاد.

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٥٣٤).

(٢) تفسير البغوي (٦ / ٤١٣).





زاد السائر إلى الله عز وجل

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦) هذا غاية ومقصوده ممن تبعه،

أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد" (١).

وقال السعدي رحمه الله في موضع آخر: "﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

السَّعِيرِ﴾ (٦) ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين الشر لهم والفساد

وأنه قال لربه مقسماً: ﴿لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (١١٨) [سورة النساء: ١١٨]

أي: مقدرًا. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين

ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاه، وآثر طاعته على طاعة

مولاه" (٢).

من صور عداوته: الأمر بالسوء والقول على الله بغير علم

فالحذر الحذر من خطوات الشيطان، الحذر من اتباع سبله وتلبساته، قال تعالى

ممتنًا على الناس بأنه أحل لهم أكل كل ما من شأنه أن يؤكل في الأرض حلالًا لهم

وحذرهم من تتبع خطوات الشيطان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) [سورة البقرة: ١٦٨].

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٨٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٠٤).





قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "وقوله: **﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** (٣٨) تنفير عنه وتحذير

منه...

وقال قتادة، والسدي في قوله: **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان.

وقال عكرمة: هي نزغات الشيطان، وقال مجاهد: خطاه، أو قال: خطاياها" (١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: "وقوله: **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** أي: اعملوا الطاعات، واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان" (٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: " **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** أي: طرائقه وأوامره، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله، أي: من الثمار والزرع افتراء على الله، **﴿إِنَّهُ لَكُمْ﴾** أي: إن الشيطان أيها الناس لكم **﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** (٣٨) أي: بين ظاهر العداوة" (٣).

ثم بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يأمر به هذا العدو اللدود فقال: **﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾** (سورة البقرة: ١٦٩)، قال ابن كثير

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٤٧٨-٤٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٥٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٥١).





رَحِمَهُ اللهُ: "أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضاً"^(١).

فاعلم أخي الحبيب: أن الله سبحانه يؤكد لنا في هذه الآية محذراً لنا من عدو خطير، ويأمرنا أن نتخذه عدواً لنا فنبتعد عنه ونعاديه ولا نتبع خطواته.

كلنا نقر بعداوته! فهل اتخذناه عدواً؟

أين الحصون منه؟

أين البعد عن طرائقه؟

أين معرفة مداخل الشيطان؟ لنجتنبها.

الشيطان الرجيم عدو معك في كل مكان:

في الصلاة.

وعند الأكل والشرب.

وعند معاشر الأهل.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٩).





وعند النوم؛ لذا شرع الله سبحانه الاستعاذة منه، هو العدو فاحذره فإن الله قال:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر: ٦].

إعلان الشيطان لعداوته وتوعده لبني آدم

لقد أكد القرآن الكريم على هذه العداوة في مواضع عدة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ

الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة يوسف: ٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٣].

وأخبر عزَّوَجَلَّ عن شدة عداوته وتوعده لبني آدم (أنا، وأنت، وهو، وهي، وكل

أحد) فقال: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [١٦] ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦-

[١٧].

فالشيطان هنا يخبر بأنه سيبذل كل جهده في إغواء الناس وصددهم عن صراط

الله المستقيم، وأنه سيأتيهم من كل الجوانب والجهات، بالوسوسة والصد عن ذكر

الله والطاعات، وتزيين الشهوات الشبهات، وغيرها من واسائل إضلاله.

وقال جلَّ وَعَلَا أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا آغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ﴾ [٣٩] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٤٠] قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [٤١] إِنَّ

عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر: ٣٩-٤٢].





زاد السائر إلى الله عز وجل

ثم أخبر بأن جهنم هي موعده وموعد من اتبعه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ

لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٤٣].

وأقسم بقدرة الله عزَّجَلَّ وعزته قهره أنه سيضل بني آدم أجمعين، إلا من عصمهم

الله جَلَّ وَعَلَا عن إضلاله فقال سبحانه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨٢] إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة ص: ٨٢-٨٣].

ثم قال جَلَّ وَعَلَا بعد ذلك: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [٨٤] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ

مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة ص: ٨٤-٨٥]، فالحق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا يقول إلا الحق.

فالحذر الحذر!

الحذر من سُبُل الشيطان.

الحذر من خطوات الشيطان.

هو عدو لنا فعلينا الحذر منه، وعلينا أن نستعين بالله عزَّجَلَّ عليه، ونستعيذ بالله

جَلَّ جَلَالُهُ من الشيطان الرجيم.





كيف نترجم هذه العداوة إلى واقع عملي؟

إن الأمر باتخاذ الشيطان عدوًا ليس مجرد شعور قلبي، بل هو منهج حياة متكامل يتطلب أفعالًا وسلوكيات تظهر هذه العداوة. ومن أهم سبل تحقيق ذلك:

١. الاستعاذة بالله جَلَّ وَعَلَا من الشيطان الرجيم:

وهي الحصن الأول واللجوء إلى القوي القادر، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٠]، قال العلامة ابن سعدي في تفسير الآية: "أي: أي وقت، وفي أي حال ﴿يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: تحس منه بوسوسة، وتثيبت عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه ﴿سَمِيعٌ﴾ لما تقول. ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحملك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس: ١] إلى آخر السورة.

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب - تذكر من أي باب أُتِيَ،





ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئًا حسيرًا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه.

وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبًا بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القياد لها، وهم لا يقصرون عن فعل الشر" (١).

قال تعالى: ﴿وَمَا يَزْعُوكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

﴿٣٦﴾ [سورة فصلت: ٣٦]، وقال السعدي رحمه الله: "﴿وَمَا يَزْعُوكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

نَزْعٌ﴾ أي: أي وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من

وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيه عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له

ببعض ما يأمر به ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: اسأله، مفتقرًا إليه، أن يعيدك ويعصمك

منه، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك

واضطرارك إلى عصمته وحمايته" (٢).

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٣).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٥٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقد أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاستعاذة في أحوال كثيرة منها:

يستعيذ بالله من الشيطان في صلاته في الصحيح عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:
 قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك»، ثم قال: «ألعنك
 بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله
 قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك،
 قال: «إن عدو الله إبليس، جاء بشهاب من نار ليحعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله
 منك، ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم
 أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل
 المدينة»^(١).

وعند دخوله الخلاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»^(٢).

وعند الغضب كما في الصحيحين عن سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت جالساً
 مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه،
 فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ

(١) أخرجه مسلم، برقم (٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٤٢)، و(٦٣٢٢)، ومسلم، برقم (٣٧٥).





بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد»، فقالوا له: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون^(١)، وغيرها من الأحوال.

٢. مخالفة أوامره:

فإذا أمرك بالبخل، فتصدق، وإذا دعاك إلى الكسل عن الصلاة، فقم إليها نشيطاً مسرعاً وتذكر قول الله عزَّوجلَّ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٨].

وإذا وسوس لك بالنظر الحرام، فغض بصرك وتذكر قول الله جلَّ وعَلا: ﴿قُلْ

لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النور: ٣٠]، قال الحارث بن قيس: "إذا كنت في أمر الآخرة فتمكث، وإذا كنت في أمر الدنيا فتوخ، وإذا هممت بأمر خير فلا تؤخره، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلي، فقال: إنك مرء، فزده طولاً"^(٢).

فإذا هممت بخير فبادر ولا تؤجله، وإذا دعتك نفسك والشيطان لمعصية الله عزَّوجلَّ فخالف هواك والشيطان.

٣. ذكر الله سبحانه وتعالى:

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٢٨٢)، ومسلم، برقم (٢٦١٠).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ١٣٢)، وصفة الصفوة (٢/ ٤٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فالذكر هو الحصن الحصين الذي يفر منه الشيطان فقد ثبت عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... وأمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»^(١).

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، وهذا بعينه هو الذي دلّت عليه سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس: ١]، فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس، والخناس الذي إذا ذكر العبد الله انخنس وتجمّع وانقبض، وإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب، وألقى إليه الوسوس التي هي مبادئ الشرّ كلّها، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عزّ وجلّ"^(٢).

٤ . العلم بمدخله وكيد:

عرفنا عداوته في القرآن الكريم كما سبق، لذا يجب علينا أن نكون أشد حذرًا منه، فمن جهل عدوه سهل عليه اصطياده، ومدخل الشيطان إلى القلب كثيرة، منها: الغضب، والشهوة، والحسد، والكبر، وحب الدنيا، وبمعرفة هذه المدخل، يستطيع العبد أن يسدها ويحترز منها.

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٨٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٥٥٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٨١٥-٨١٦)، ط عطاءات العلم.





زاد السائر إلى الله عز وجل

ولابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللهُ كَلامًا جَمِيلًا أَنقله بطوله لأهميته قال رَحِمَهُ اللهُ:
 "اعلم: أن القلب بأصل فطرته قابل للهدى، وبما وضع فيه من الشهوة والهوى،
 مائل عن ذلك، والتطارد فيه بين جندي الملائكة والشياطين دائم، إلى أن يفتح
 القلب لأحدهما، فيتمكن، ويستوطن، ويكون اجتياز الثاني اختلاسًا كما قال تعالى
 ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ٤] وهو الذي إذا ذكر الله خنس،
 وإذا وقعت الغفلة انبسط، ولا يطرد جند الشياطين من القلب إلا ذكر الله تعالى،
 فإنه لا قرار له مع الذكر.

واعلم: أن مثل القلب كمثّل حصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن،
 ويملكه ويستولى عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على
 حراسة أبوابه من لا يعرفها، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله،
 ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد، وهي كثيرة، إلا أنا نشير إلى الأبواب
 العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

فمن أبوابه العظيمة: الحسد، والحرص، فمتى كان العبد حريصًا على شيء، أعماه
 حرصه وأصمه، وغطى نور بصيرته التي يعرف بها مداخل الشيطان.

وكذلك إذا كان حسودًا فيجد الشيطان حينئذ الفرصة، فيحسن عند الحريص
 كل ما يوصله إلى شهوته، وإن كان منكراً أو فاحشاً.





ومن أبوابه العظيمة: الغضب، والشهوة، والحدة، فإن الغضب غول العقل، وإذا ضعف جند العقل هجم حينئذ الشيطان فلعب بالإنسان...

ومن أبوابه: حب التزيين في المنزل والثياب والأثاث، فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقفها وحيطانها، والتزيين بالثياب، والأثاث، فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك.

ومن أبوابه: الشبع، فإنه يقوى الشهوة، ويشغل الطاعة^(١).

ومنها: الطمع في الناس، فإن من طمع في شخص، بالغ بالثناء عليه بما ليس فيه، وداهنه، ولم يأمره بالمعروف، ولم ينهه عن المنكر.

ومن أبوابه: العجلة، وترك الثبوت،...

(١) قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: "وأما فضول الطعام، فهو داعٍ إلى أنواع كثيرة من الشرِّ، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شراً! فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقى شرَّ بطنه فقد وقى شراً عظيماً، والشيطان أعظم ما يتحكَّم من الإنسان إذا ملاً بطنه من الطعام، ولهذا جاء في بعض الآثار: "صَيَّقُوا مَجَارِيَ الشَّيْطَانِ بِالصَّوْمِ"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» [أخرجه الترمذي، برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه، برقم (٣٣٤٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٢٦٥)، وفي إرواء الغليل، برقم (١٩٨٣)]، ولو لم يكن في التملِّي من الطَّعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، وإذا عَفَلَ القلبُ عن الذكر ساعةً واحدةً جثم عليه الشيطانُ ووعدُهُ ومَنَاهُ وشَهَاهُ، وهام به في كلِّ وادٍ، فإن النفسَ إذا شَبَعَتْ تَحَرَّكَتْ وجالت وطافت على أبواب الشَّهَوَاتِ، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت" [بدائع الفوائد، لابن القيم (٢)/ ٨٢٠-٨٢١].





زاد السائر إلى الله عز وجل

ومن أبوابه: حب المال، ومتى تمكن من القلب أفسده، وحمله على طلب المال من غير وجهه، وأخرجه إلى البخل، وخوفه الفقر، فمنع الحقوق اللازمة.

ومن أبوابه: حمل العوام على التعصب في المذاهب، دون العمل بمقتضاها.

ومن أبوابه أيضاً: حمل العوام على التفكير في ذات الله تعالى، وصفاته، وفي أمور لا تبلغها عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين.

ومن أبوابه: سوء الظن بالمسلمين، فإن من حكم على مسلم بسوء ظنه، احتقره وأطلق فيه لسانه، ورأى نفسه خيراً منه، وإنما يترشح سوء الظن بخبث الظان، لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه.

وينبغي للإنسان أن يحترز عن مواقف التهم؛ لئلا يساء به الظن، فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان، وعلاج هذه الآفات سد مداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة، وسيأتي الكلام عن هذه الصفات، إن شاء الله تعالى مفصلاً.

إذا قُلت من القلب أصول هذه الصفات، بقي للشيطان بالقلب خطرات واجتيازات من غير استقرار، فيمنعه من ذلك ذكر الله تعالى، وعمارة القلب بالتقوى^(١).

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٤٨-١٤٩).





وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كَلَامًا جَمِيلًا يَبِينُ فِيهِ أَنَّ فَضُولَ النَّظَرِ وَفَضُولَ
الكلام من أعظم مداخل الشيطان، وأن الإمساك عنها حرز منيع ضد الشيطان،
فقال رَحِمَهُ اللهُ: "إمساكُ فضولِ النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإنَّ
الشيطانَ إنما يتسلطُ على ابنِ آدَمَ وينالُ منه غَرَضُهُ من هذه الأبواب الأربعة، فإنَّ
فضولَ النظر يدعو إلى الاستحسانِ، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب،
والاشتغالِ به، والفكرة في الظفرِ به، فمبدأُ الفتنة من فضولِ النظر...، فالحوادث
العظامُ إنما كُلُّها من فضولِ النظر، فكم نظرة أعقبت حَسرات لا حَسرة، كما قال
الشاعر:

كُلُّ الحوادثِ مَبْدَها من النَّظَرِ *** ومُعْظَمُ النَّارِ من مُسْتَصْغِرِ الشَّرِّ
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها *** فتك السَّهام بلا قوس ولا وتر.
وقال الآخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا *** لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ *** عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ
وقال المتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنيَّةَ طرفُهُ *** فمَن المطالبُ والقَتيلُ القاتِلُ
ولي من أبيات:

يا رامياً بسهام اللّحظ مجتهداً *** أنت القَتيلُ بما ترمي فلا تُصبِ





زاد السائر إلى الله عز وجل

وباعث الطرف يرتاد الشفاء له *** توفه إنه يرتد بالعطب

ترجو الشفاء بأحداقٍ بها مَرَضٌ *** فهل سمعت بئراً جاء من عَطْبٍ.

[إلى نهاية الأبيات]، والمقصود أن فضول النظر أصل البلاء.

وأما فضول الكلام؛ فإنها تفتح للعبد أبواباً من الشر، كلها مداخل للشيطان، فإمسك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرّتها كلمة واحدة، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَيَّ مَنَاخِرِهِمْ فِي

النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١)...

وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يَمَلَّانِ ولا يسأمان، بخلاف شهوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يَبَقَ فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تُركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما مُتَّسِعَةٌ الأطراف، كثيرة الشُعَبِ، عظيمة الآفات، وكان السلف يحذرون من فضول النظر، كما يحذرون من فضول الكلام، وكانوا يقولون: "ما شيءٌ أحوج إلى طول السّجن من اللّسان"^(٢).

٥. صحبة الصالحين ولزوم الجماعة:

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٢٠٦٣)، وقال محققوه: "صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب"، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (١١٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣٢٨٤)، وفي صحيح الجامع، برقم (٥١٣٦).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٨١٦-٨٢٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد كما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين
أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك
المؤمن»^(١).

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وشر الشيطان الرجيم،
ونسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا من عباده المخلصين، وأن
يعصمنا من الشيطان الرجيم.
والحمد لله رب العالمين.

بقلم الفقير إلى عفوره الكريم /

أبو عبد الله

محمد بن عبد الله بن محمد حزام العبدي



(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٦٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم
(٢٥٤٦).





إياك وفاكهة المجالس (الغيبة)

أخي العزيز: إياك وفاكهة المجالس وأعني بها الغيبة، الغيبة كما عرفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذكرك أخاك بما يكره»، كما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أندرون ما الغيبة؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»^(١)، وثبت في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أحاديث كثيرة تدل على حرمتها، وأنها من الكبائر، فالغيبة كبيرة من كبائر الذنوب ومع ذل يتساهل الكثير فيها حتى يأتي يوم القيامة من المفاليس، واللسان آخر ما يحترز الإنسان منه غالباً إلا من رحم الله وقليل منهم، فالبعض لسانه كالمنشار في أعراض الناس.

ومن نظر في سلوك السلف يلحظ ما كانوا عليه من ورع وخوف من الكلام في الناس، فقد جاء عن الفضيل قال: "احفظ لسانك، وأقبل على شأنك، واعرف زمانك، وأخف مكانك"^(٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، برقم (٢٥٨٩).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨ / ٤٣٦).





واغتتاب رجل عند معروف الكرخي رَحْمَةُ اللَّهِ فقال: "اذكر القطن إذا وضع على عينيك"^(١)، يعني: ذكره الموت؛ ليخاف ويدع الغيبة.

وقال الفلاس رَحْمَةُ اللَّهِ: "ما سمعتُ وكيعًا ذاكرًا أحدًا بسوء قط"^(٢).

ويقول الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ عن وكيع: "قلتُ: مع إمامته، كلامه نزر جدًا في الرجال"^(٣)، يعني في الجرح والتعديل، وهذا يتوقف عليه قبول الروايات، فكيف بإطلاق اللسان من غير حاجة.

وقال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني أغتبت أحدًا"^(٤).

وقال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ معلقًا على كلام الإمام البخاري: "صدق رَحْمَةُ اللَّهِ ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو ذلك، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى أنه قال: إذا قلتُ: فلان في

(١) تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ١٢١٢) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤١).

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ١٢٣٤) وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٨).

(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥٢/ ٨١) وتاريخ الإسلام (٦/ ١٥٤) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٩).





حديثه نظر، فهو متهم وإيه، وهذا معنى قوله: "لا يحاسبني الله أني أغتبتُ أحدًا، وهذا والله غاية الورع"^(١).

وجاء عن الحسن بن صالح: فتشت الورع، فلم أجده في شيء أقل من اللسان"^(٢).

وكان سعيد بن العاص يقول: "القلوب تتغير، فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحًا اليوم، ذامًا غدًا"^(٣).

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بطرف لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد^(٤).
فإذا كان أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول ذلك فكيف بنا؟ نسأل الله أن يتغمدنا الله برحمته وعفوه.

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام^(٥).
وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان"^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٣٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٤٨).

(٤) صفة الصفوة، لابن الجوزي (١ / ٩٦)، وإحياء علوم الدين، للغزالي (٣ / ١١١).

(٥) إحياء علوم الدين (٣ / ١١١).

(٦) إحياء علوم الدين (٣ / ١١١).





وقال طاوس رَحِمَهُ اللهُ: "لساني سبع إن أرسلته أكلني"^(١).

ويقال بأن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ إذا ذكر شخص في مجلسه يغضب ويقول: سبح

سبح، يعني أنه يأمره ينشغل بالتسييح بدلاً من الكلام في أعراض الناس.

أخي العزيز: هذا بعض ما روي من أخبار السلف وما ذكرنا قليل من كثير ولم

أقصد الحصر وإلا فهي محرمة بالكتاب والسنة قال الله سبحانه مشبهاً الغيبة بأكل

اللحم للإنسان الميت: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ

أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: "فهذا نهي قرآني عن الغيبة مع إيراد مثل ذلك يزيده

شدة وتغليظاً، ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقادر قدره؛

فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعاً، ولو كان كافراً أو

عدواً مكافحاً، فكيف إذا كان أخاً في النسب أو في الدين؟!!

فإن الكراهة تتضاعف بذلك، ويزداد الاستقذار، فكيف إذا كان ميتاً؟!!

فإن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذراً بالموت، لا يشتهي الطبع، ولا

تقبله النفس. وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة، بعد النهي

الصريح عن ذلك"^(٢).

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١١١).

(٢) الفتوح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١١/ ٥٥٦٧-٥٥٦٨).





قال الواحدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١)
وهو أن يظنَّ السُّوءَ بأهل الخير وبمن لا يُعلم منه فسقٌ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ لا تطلبوا
عورات المسلمين ولا تبحثوا عن معائبهم، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا تذكروا
أحدكم بشيءٍ يكرهه وإن كان فيه ذلك الشَّيءُ ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مَيْتًا﴾ يعني: إن ذكراك أخاك على غيبةٍ بسوءٍ كأكل لحمه وهو ميتٌ لا يحسُّ
بذلك ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ إن كرهتم أكل لحمه ميتاً فاكروهوا ذكره بسوءٍ" (١).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: "﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ والغيبة، كما قال النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، ولو كان فيه، ثم ذكر مثلاً منفراً عن الغيبة،
فقال: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه أكل لحمه ميتاً،
المكروه للنفوس غاية الكراهة باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصاً
إذا كان ميتاً، فاقد الروح، فكذلك فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمه حياً.

﴿وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢) والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها،
ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم
التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر،
لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر" (٢).

(١) الوجيز، للواحدي (ص: ١٠١٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٢).





وقال الشنقيطي رَحْمَةُ اللَّهِ: " فيجب على المسلم أن يتباعد كل التباعد من الوقوع في عرض أخيه"^(١).

وقال سبحانه: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق: ١٨]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، وذلك قوله: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد: ٣٩]"^(٢).

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: " أي ما يتكلم بشيء إلا كتب عليه، مأخوذ من لفظ الطعام وهو إخراجه من الفم"^(٣).

وقال ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: " ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ ﴾ خير أو شر، ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿١١﴾ يِعَامُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الانفطار: ١٠-١٢]"^(٤).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤١٣).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٥).





ولا يقول مسلم بإباحتها، وإنما استثنى العلماء منها بعض الأحوال للمصلحة وإلا فهي محرمة وتباح بقدر الضرورة، لكن أن يتوسع الناس فيها بحيث تكون عنده كالفاكهة فهذا خلاف ما كان عليه السلف.

ونكتفي بذكر ما سبق ففيه كفاية لمن يريد أن يتعد عن هذه الكبيرة، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وإذا علمت أخي الكريم أن ما تقوله سيأتي في صحيفتك فاحرص كل الحرص على ألا تضع فيها إلا الشيء الطيب الذي تُسربه في الآخرة. نسأل الله عزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلاء أن يوفقنا لحفظ ألسنتنا عن الغيبة والنميمة والبهتان، ويستعملنا في طاعته، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه / أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي.

١٥ / رمضان / ١٤٤٥ هجرية.





زاد السائر إلى الله عز وجل

لا تنشغل بحطام زائل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه،
أجمعين، أما بعد:

فيا أيها المبارك رحمني الله وإياك: لا تنشغل بهذه الدنيا وزخرفها وجد
وسارع في كل عمل يقربك إلى الله عَزَّجَلَّ، فالله سبحانه أمرنا بالمسارعة والمسابقة
فقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٨]، فجد وسارع واغتنم
الوقت في رضى الرحمن جَلَّ وَعَلَا، وإياك والكسل والتسويف، فمن كان مسوفاً
فسيندم وقت لا ينفع الندم.

والإنسان ولا بد إذا بلغت روحه الحلقوم يدرك حقارة الدنيا وأنه انشغل بشيء
لا بقاء له، وأنه فرط في هذه الحياة، ومثله كمثل شخص خرج يوماً في الصباح
للنزهة فمر بواد فيه من أنواع الزهور الجميلة فأخذ في جمعها وتتبعها، ولما اجتمع له
الشيء الكثير في نهاية اليوم وإذا بالذي جمعه قد ذبل عند ذلك أدرك أنه قد أجهد
نفسه وتعب في جمع شيء لا بقاء له.

أخي الحبيب: فأنت في زمن الزرع وتجميع الحسنات فانشغل بها ينفعك في
آخرتك، النجاح والفوز الحقيقي ليس بجمع الحطام الفاني وإنما بعمارة دار لا تفنى
ولا تزول، دار أبدية سرمدية.





زاد السائر إلى الله عز وجل

الفوز الحقيقي حين تزحزح عن النار ويُدخلك الله عزَّجَلَّ الجنة دار المتقين، قال
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ
﴿١٨٥﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥].

فهذه الآية الكريم تضمنت عدة حقائق، هي:

- أن كل نفس ستموت، فلا خلود لأحد.
- أن كل إنسان سيجد جزاء ما عمل في هذه الحياة.
- أن الحياة الدنيا متاع الغرور، وليست بدار بقاء.
- وأن الفوز الحقيقي حين يُكرمك الله جَلَّ وَعَلَا بدخول الجنة ويُنجيك من النار.

فاللهم إنا نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت أن تجعلنا من أهل الجنة، وأن تكرمنا برحمتك ومغفرتك، اللهم تجاوز عن تقصيرنا واغفر لنا وارحمنا يا أكرم الأكرمين.

وكتبه / أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

غفر الله له ولوالديه وأزواجه والمسلمين.

اليمن - صنعاء

يوم الأحد ٢٧ ذي القعدة ١٤٤٦ هجرية

الموافق ٢٥ / ٥ / ٢٠٢٥ ميلادي.





حقيقة الدنيا في آية من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا ذَكَرَ الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ إِلَّا ذَمَّهَا، وَقَدْ بَيَّنَّ حَقِيقَتَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ مِّنْ بَيْنِكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾** [سورة الحديد: ٢٠].

يبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُحَقَّرًا لَهَا بِأَنَّهَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَهَذَا حَاصِلُ أَمْرِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَالْمَغْتَرِينَ بِهَا، وَيَبِينُ فِي آخِرِ الْآيَةِ بِأَنَّهَا مَتَاعُ الْغُرُورِ، وَالْمَتَاعُ هُوَ كُلُّ مَا هُوَ زَائِلٌ، فَهِيَ مَتَاعٌ لِكُلِّ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا.

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "أخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهدًا لأولي البصائر، وأنها لعب وهو تلهو بها النفوس، وتلعب بها الأبدان، واللعب واللهو لا حقيقة لهما وإنما مشغلة للنفس مضيعة للوقت، يقطع بها الجاهلون فيذهب ضائعًا في غير شيء، ثم أخبر أنها زينة زينت للعيون وللنفوس فأخذت بالعيون والنفوس استحسانًا ومحبة، ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها





زاد السائر إلى الله عز وجل

ومصيرها لأبغضتها، ولا أثرت عليها الآخرة، ولما أثرتها على الآجل الدائم الذي هو خير وأبقى" (١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: "ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان" (٢).

وقال السمرقندي في تفسير الآية: "ثم ضرب للدنيا مثلاً آخر فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني: كمثل مطر نزل من السماء فینبت به الزرع، والنبات، ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ يعني: فرح الزارع بنباته، ويقال: أَعْجَبَ الْكُفَّارَ يعني: الكفار بالله، لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا من المؤمنين.

ويقال: الْكُفَّارَ كناية عن الزراع، لأن الْكُفْرَ في اللغة هو التغطية، ولهذا سمي الكافر كافراً لأنه يغطي الحق بالباطل.

فسمي الزراع كفاراً لأنهم يغطون الحب تحت الأرض، وليس ذلك الكفر الذي هو ضد الإيمان، والطريقة الأولى أحسن إن أراد به الكفار، لأن ميلهم إلى الدنيا أشد

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٦٨-١٦٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨ / ٢٤).





زاد السائر إلى الله عز وجل

﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يعني: يبس فيتغير، ﴿فَتَرَنَهُ مُصْفَرًا﴾ بعد خضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ يعني: يابسًا.

ويقال: حُطَمًا يعني: هالكًا، فشبه الدنيا بذلك، لأنه لا يبقى ما فيها، كما لا يبقى هذا النبات في الآخرة عذابٌ شديدٌ لمن افتخر بالدنيا، واختارها، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن ترك الدنيا، واختار الآخرة على الدنيا. ويقال: عذاب شديد لأعدائه، ومغفرة من الله لأوليائه.

ثم قال: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ يعني: كمتاع الغرور، يعني: كالمَتَاع الذي يتخذ من الزجاج، والخزف، يسرع إلى الفناء ولا يبقى" (١).

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: "يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعبادته من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

(١) بحر العلوم (٣/ ٤٠٨).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه، وغير ذلك.

﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلاً بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلّفها فهاجت وبيست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتباً لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلاها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجراً على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يجل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٠﴾ أي: إلا متاع يتمتع به ويتنفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرمهم بالله الغرور.

ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿١١﴾، والإيمان بالله ورسوله يدخل فيه أصول الدين





زاد السائر إلى الله عز وجل

وفروعها، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم من أعظم منته على عباده وفضله.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة البقرة: ١٠٥] الذي لا يحصى ثناء عليه،

بل هو كما أثني على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده" (١).

ونختم الكلام بكلام قيم للحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: "لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها، ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما هنا، فهي كما قال الله سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة الأعلى: ١٧]، فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٨٤١-٨٤٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل.

فإذا أثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبيين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منها، ولهذا نبذها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وأطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجنًا لا جنة فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب ولو صلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردها، وفاضت على أصحابه فأثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مالي وللدنيا، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها»^(١).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٧٧)، ولفظه: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه، برقم (٤١٠٩)، وأحمد في المسند، برقم (٤٢٠٨)، بلفظ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب، قال في ظل شجرة في يوم صائف، ثم راح وتركها»، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٦٨)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (٤٣٨).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما

ترجع»^(١).

وقال خالقها سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ

أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ

بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [سورة يونس: ٢٤]، والله يدعو إلى

دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فأخبر عن خسة الدنيا، وزهد

فيها، وأخبر عن دار السلام ودعا إليها"^(٢).

فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تعلق قلوبنا بها يا أكرم

الأكرمين، اللهم ووفقنا فيها للتزود للآخرة الباقية، واجعلنا ووالدينا وجميع

المسلمين من أهل الجنة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدي

ليلة الثلاثاء: ٢٨ ذو الحجة ١٤٤٦ هجرية

الموافق: ٢٤ يونيو ٢٠٢٥ ميلادي

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٨)

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص: ٩٤-٩٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

الخوف من سرعة مرور الأيام والليالي

(وبيان حقيقة الدنيا)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم، أما بعد:

فإن سرعة الأيام والليالي وتصرمها شيء مخيف جداً!!

ما أن يضع الواحد رأسه على الوسادة لينام إلا ويشرق نور الفجر، وما أن
يستيقظ إلا ويأتي موعد النوم.

وما أن يأتي بداية الأسبوع ولا تشعر إلا وأنت في آخره، وهكذا الشهور
والأعوام، تسير بشكل سريع مخيف.

والسعيد حقاً من ملأ صحيفته بالصالحات، وشغل وقته بالقربات، والمحافظة
على الفرائض والنوافل [الصلوات الخمس في أوقاتها مع المسلمين - السنن
الرواتب - والحرص على صلاة الضحى ولتكن أربع ركعات - التردد مع المؤذن
والذكر بعد الأذان - أذكار الصباح والمساء - قراءة ورد من القرآن وأقله كل يوم
جزء - حفظ شيء منه كل يوم ولو خمس آيات - صيام ثلاثة أيام من كل شهر،
وصيام الاثنين والخميس - الإكثار من الباقيات الصالحات والاستغفار - (سبح
هليل كبر حوقل استغفر) - سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم مائة مرة





زاد السائر إلى الله عز وجل

صباحًا ومساءً - الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صباحًا ومساءً أقل شيء عشر مرات صباحًا ومساءً - الإحسان للوالدين، والجيران، والمسلمين].

أي فعل خير افعله ولا تتردد، وأي فعل يقربك من الشر أو المعصية فر منه فرارك من المعصية.

الأحداث تتسارع من حولنا أيها الأحبة، والموت يتخطف الناس من حولنا، يتخطنا إلى غيرنا ويخشى أن يتخطى غيرنا إلينا؛ لذا علينا المحافظة على ما سبق الإشارة إليه واغتنام الأيام الفاضلة بالمسارعة بالأعمال الصالحة.

وعلى ألا نقارن معيشتنا بعيشة الأغنياء والمترفين، وأن ننظر لمن هو أدنى منا. وأن نقارن عبادتنا بعبادة السلف الصالح، وما كانوا عليه من العبادة والمسارعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والتقوى والخوف من الله جَلَّ وَعَلَا، فالدنيا زائلة فانية، والآخرة هي الباقية

إنها الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنها الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت

ولعمري عن قليل كل من فيها يموت

ما ذكر الله سبحانه الدنيا في القرآن إلا وذمها، فهي متاع الغرور والآخرة هي دار البقاء والدوام، إما سعادة أبدية أو شقاء وعذاب أبدي.





زاد السائر إلى الله عز وجل

وأعظم ما يبين حقيقة الدنيا وزخرفها بعض ما ورد في القرآن قول الله عزَّوجلَّ:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا
أَنَّهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [سورة يونس: ٢٤].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمُ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ
الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [سورة العنكبوت: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا
يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالِكُمْ ﴿٣٦﴾ [سورة محمد: ٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسْفَلَ الْكُفَّارِ بَنَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا
وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ
﴿٢٠﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

ومما يبين حقيقتها في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام حديث جابر
بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بالسوق، داخلا من بعض





زاد السائر إلى الله عز وجل

العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت [يعني صغير الأذنين]، فتناوله فأخذ

بأذنه، ثم قال: «أيكم يجب أن هذا له بدرهم؟»

فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟

قال: «أتحبون أنه لكم؟»

قالوا: والله لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟

فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم»^(١).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كانت

الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٢).

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة

مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء

الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل"^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الدنيا في الحقيقة لا تُدْمُ، وإنما يُتوجه الذمُّ إلى فعل

العبد فيها، ولكن لما غلبت عليها الشهوات والحظوظ، والغفلة والإعراض عن الله

والدار الآخرة، فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها، وهو الغالب على اسمها،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٩٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٢٩٢).

(٣) ذكره البخاري معلقاً في صحيحه (٨ / ٨٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

صار لها اسم الذم عند الإطلاق، وإلا فهي مَبْنَى الآخرة ومزرعتها، وفيها اكتسبت النفوس الإيمان، ومعرفة الله ومحبتة وذكره ابتغاء مرضاته، وخير عيش ناله أهل الجنة في الجنة، إنما كان بما زرعه فيها، وكفى بها مدحًا وفضلًا" (١).

ويقول الحافظ ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: "واعلم أَنَّ الذَّمَّ الوارد في الكتاب والسنة للدُّنيا ليس هو راجعًا إلى زمانها الذي هو اللَّيْل والنَّهَار، المتعاقبان إلى يوم القيامة، فَإِنَّ الله جعلها خِلفَةً لمن أراد أن يذَّكَّرَ أو أراد شكورًا.

ويروى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قال: إِنَّ هذا اللَّيْل والنَّهَار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيها.

وكان يقول: اعملوا اللَّيْل لما خلق له، والنَّهَار لما خلق له.

وقال مجاهد: ما مِنْ يومٍ إِلَّا يقول: ابن آدم قد دخلتُ عليك اليوم، ولن أرجع إليك بعدَ اليوم، فانظر ماذا تعمل فيّ، فإذا انقضى، طوي، ثم يُحْتَمُّ عليه، فلا يُفَكُّ حتى يكون الله هو الذي يفضُّه يومَ القيامة، ولا ليلة إلا تقول: كذلك.

وقد أنشد بعض السلف:

إنَّما الدنيا إلى الجنة والنَّار طريق

واللَّيالي متجر الإنسان والأَيَّام سُوق.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٧٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وليس الذمُّ راجعاً إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهاداً وسكناً، ولا إلى ما أودعه الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبته فيها من الشجر والزرع، ولا إلى ما بثّ فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإنّ ذلك كُله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانيّة صانعه وقدرته وعظّمته، وإنّما الذمُّ راجعٌ إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا؛ لأنّ غالبها واقعٌ على غير الوجه الذي تُحمدُ عاقبته، بل يقعُ على ما تضرُّ عاقبته، أو لا تنفع، كما قال عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [سورة الحديد: ٢٠] ^(١).

وقال السفاريني رحمه الله: "قد ترادفت الأخبار، وتواترت الآثار، بدم الدنيا وزينتها ومدح التقلل منها والإعراض عنها، والزهد فيها وفي لذاتها" ^(٢).
وقال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "واعلم أنّ خلقاً كثيراً سمعوا ذمّ الدنيا ولم يفهموا المذموم، وظنّوا أنّ الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع من المطاعم والمشارب فأعرضوا عمّا يصلحهم منها فتجفّفوا فهلكوا.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٦-١٨٧).

(٢) غداء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٤٥).





وَلَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الطَّبَاعِ تَوْقَانَ النَّفْسِ إِلَى مَا يُضْلِحُهَا، فَكُلَّمَا تَأَقَّتْ
مَنْعُوهَا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ، وَجَهْلًا بِحُقُوقِ النَّفْسِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ
الْمُتَزَهِّدِينَ^(١).

وأخيراً: أخي العزيز احرص على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وخاصة المحافظة على
الفرائض، وما اقترحت في بداية المقال احرص عليه قدر الإمكان، وكل ميسر لما خُلق
له.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يستعملنا في طاعته، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يسد لنا ويغفر لنا
إنه على كل شيء قدير.

فاللهم إنا نعوذ بك من الغفلة والاعتزاز بالدنيا وزخرفها.

اللهم إنا نسألك حُسن الخاتمة، اللهم اختم لنا بخير وعلى خير، وأنت راض عنا
يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

كتبة / أبو عبد الله

محمد بن عبد الله العبدية

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني (٢/ ٥٤٧).





الباب الثالث: اغتنام الأوقات والمسارة في الطاعات

الأيام تمضي سريعاً، والليالي تتتابع، والعمر مراحل قصيرة لا يشعر الإنسان بانقضائها إلا وقد مضى كثير منها.

ومن أعظم الخسارة أن يضيع العبد عمره في الغفلة والانشغال بما لا ينفع، بينما السعيد من عرف قيمة وقته، فسارع إلى الطاعات، واغتنام مواسم الخير، وجعل أيامه طريقاً يقربه إلى الله عزَّجَلَّ.

وفي هذا الباب مقالات تذكر بسرعة الزمن، وتحض على اغتنام العمر، والاجتهاد في الطاعات، ولا سيما في المواسم الفاضلة كشهر رمضان والعشر الأواخر منه.

كيف تستعيد البركة في وقتك؟ وصية عملية

(أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه مهما كثرت مشاغلك)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [سورة ص: ٢٩]، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيشكو الكثير فقدان البركة في وقته، فقدان البركة في رزقه، فقدان البركة في كل

شيء، ولو سألته سؤال لظهر السبب!

كيف حالك مع القرآن؟





زاد السائر إلى الله عز وجل

كيف حالك مع تلاوته؟

كيف حالك مع تدبره؟

أين أنت من العمل به؟

من ضاق وقته، وتشتت أعماله، وشعر بذهاب البركة من عمره، فليعلم أن القرآن الكريم أعظم ما يُبارك به الوقت، فهو كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ، الذي قال فيه:

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [سورة ص: ٢٩].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "والمبارك: المنبثه فيه البركة وهي الخير الكثير، وكل آيات القرآن مبارك فيها لأنها:

إما مرشدة إلى خير، وإما صارفة عن شر وفساد، وذلك سبب الخير في العاجل والآجل ولا بركة أعظم من ذلك.

والتدبر: التفكير والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرا انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر"^(١).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله.

(١) التحرير والتنوير (٢٣ / ٢٥١ - ٢٥٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

﴿لِتَدَّبُرُوا آيَاتِهِ﴾ أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

﴿وَلِتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب^(١).

وقد جرب الصالحون أن من وُفق لكثرة تلاوة القرآن الكريم ودوام ذكر الله عزَّوجلَّ، فتحت له أبواب البركة في يومه وعمله وعمره وكل شؤونه.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٥]: "وقوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾

معناه: أن هذا الكتاب مبارك، أي: كثير البركات، والخيرات، فمن تَعَلَّمَهُ وعمل به غمرته الخيرات في الدنيا والآخرة؛ لأن ما سَمَّاهُ اللهُ مباركاً فهو كثير البركات والخيرات قطعاً، وكان بعض علماء التفسير يقول: اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا؛ تصديقاً لقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ ونرجو أن يكون لنا مثل ذلك في الدنيا، وهذا الكتاب المبارك لا ييسر الله للعمل به إلا الناس الطيبين المباركين، فإنه

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٧١٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

كثير البركات والخيرات؛ لأنه كلام رب العالمين، إذا قرأه الإنسان وتدبر معانيه ففي كل حرف عشر حسنات في القراءة، وإذا تدبر معانيه عرف منها العقائد التي هي الحق، وعرّف أصول الحلال والحرام، ومكارم الأخلاق، وأهل الجنة وأهل النار، وما يصير إليه الإنسان بعد الموت، وما يسبب له النعيم الأبدي، وما يسبب له العذاب الأبدي، فكله خيرات وبركات؛ لأنه نور ينير الطريق التي تميز بين الحسن من القبيح، والنافع من الضار، والباطل من الحق، فهو كله خيرات وبركات، من عمل به غمرته الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، وأصلح له الله الدارين"^(١).

وينقل عن أحد السلف ولم أقف على قائله أنه قال: "كلما زاد حزبي من القرآن، زادت البركة في وقتي، ولا زلت أزيد حتى بلغ حزبي عشرة أجزاء".
وقال الضياء المقدسي رَحِمَهُ اللهُ: "وأوصاني -يعني: إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي رَحِمَهُ اللهُ- وقت سفري -يعني لطلب العلم- فقال: **أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه؛ فإنه ييسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ**".

قال الضياء رَحِمَهُ اللهُ: "فرايتُ ذلك وجربته كثيرًا، فكنْتُ إذا قرأت كثيرًا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير.
وإذا لم أقرأ لم ييسر لي"^(٢).

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/ ٥٣١-٥٣٢).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٣/٢٠٥).





وهذا يوافق ما قرره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: "فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧٧].

فدم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله. فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهمه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ١٦-١٧]، ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا ذلك، إنه جواد كريم" (١).

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/١).





وقال رَحْمَةُ اللَّهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢]: "يقول تعالى أمرًا عباده بتدبر

القرآن، وناهياً لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من

حكيم حميد، فهو حق من حق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: ٢٤]، ثم قال: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: لو كان

مفتعلاً مختلفاً، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم:

﴿لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [٨٢] أي: اضطراباً وتضاداً كثيراً. أي: وهذا سالم من

الاختلاف، فهو من عند الله. كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا:

﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران: ٧] أي: محكمه ومتشابهه حق؛ فلهذا ردوا

المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغوا؛

ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين" (١).

وقال العلامة ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: "يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو

التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولو ازم ذلك فإن تدبر

كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع

العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرف بالرب المعبود،

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٦٤).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرّف الطريق
الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرّف العدو الذي هو
العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند
وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث
عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا
لِيَذَّبَ رُؤُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ
الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمْ﴾ [سورة محمد: ٢٤].

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه
كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكم والقصة
والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض
بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع
الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢]
[سورة النساء: ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً^(١).

وقال رحمه الله في قول الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمْ﴾
[سورة محمد: ٢٤]: "أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ١٨٩-١٩٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، وملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الويل.

﴿أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ (٢٤) أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا

يدخلها خير أبداً؟ هذا هو الواقع" (١).

أخي المبارك وفقني الله وإياك: إذا أردت أن يعود وقتك مثمراً، وأيامك عامرة، فاجعل للقرآن الكريم نصيباً وافراً من تلاوتك، وسترى كيف يوسع الله عز وجل لك في وقتك، ويبارك في جهدك، ويسر لك أمورك، قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (٢) **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴿ [سورة الطلاق: ٢-٣].

فالبركة الحقيقية في العمر والعمل والوقت إنما هي بالقرآن الكريم وتدبره. فتدبر كتاب الله تبارك وتعالى مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير، وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فاللهم ارزقنا إيماناً يملأ قلوبنا، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٨٨-٧٨٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

اللهم وارزقنا الإكثار من قراءة كتابك الكريم، وارزقنا تدبره والعمل به،
والوقوف عند حدوده، ربنا اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، واجعله لنا شفيحاً
يوم القيامة.

اللهم حبب إلينا وإلى أبنائنا والمسلمين كلامك ورزقنا جميعاً المحافظة على تلاوته
والعمل به، يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

الثلاثاء الثامن من ربيع الآخر ١٤٤٧ هجرية - ٣٠ / ٩ / ٢٠٢٥ م

اليمن - صنعاء.





المسارعة في الطاعات واجتهاد السلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ عِبَادِهِ بِمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ؛ لِيُغْتَنَمُوهَا بِالتَّزُودِ
بِالطَّاعَاتِ، وَالْمَسَارَعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَرْنَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِالْمَسَارَعَةِ لِلطَّاعَاتِ فَقَالَ:
﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣]، وَقَالَ أَمْرًا بِالْمَسَابِقَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ: ﴿فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة
البقرة: ١٤٨].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، "أَي: بَادِرُوا إِلَيْهَا وَأَكْمَلُوهَا، فَإِنَّ الْخَيْرَاتِ الشَّامِلَةَ
لِكُلِّ فِرْضٍ وَمُسْتَحَبٍّ، مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ عِبَادِهِ، لَا يُصِيرُ فَاعِلَهَا سَابِقًا لِغَيْرِهِ
مُسْتَوْلِيًا عَلَى الْأَمْرِ، إِلَّا بِأَمْرَيْنِ:

المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في
أدائها كاملة على الوجه المأمور به. ويستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة
وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في





الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتمامها وتكمل، ويحصل بها السبق.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الأمم السابقة واللاحقة، كلهم سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل والعمل السيء^(١).

وقال عز وجل: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد: ٢١]، في هذه الآية ندب للعباد إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمشاركة إلى نيل القربات من رب الأرض والسموات وكما أن جهنم أعدت للكافرين فإن الجنة التي عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: "أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجزائه، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٢٣٤).





زاد السائر إلى الله عز وجل

السَّاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يَدْخُلُ فِيهِ
أصول الدين وفروعها، ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي: هذا الذي بيناه لكم،
وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله
بالثواب الجزيل والأجر العظيم من أعظم منته على عباده وفضله.

﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الذي لا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه،
وفوق ما يثني عليه عباده" (١).

ويقول الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: "عبر عن العناية والاهتمام بفعل السابقة
لإلهاب النفوس بصرف العناية بأقصى ما يمكن من الفضائل كفعل من يسابق غيره
إلى غاية فهو يحرص على أن يكون المجلي، ولأن المسابقة كناية عن المنافسة، أي
واتركوا المقتصرين على متاع الحياة الدنيا في الأخريات والحوالف.

وتنكير مغفرة لقصد تعظيمها ولتكون الجملة مستقلة بنفسها، وإلا فإن المغفرة
سبق ذكرها في قوله: ومغفرة من الله، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: سابقوا إلى
المغفرة، أي أكثروا من أسبابها ووسائلها: فالمسابقة إلى المغفرة هي المسابقة في تحصيل
أسبابها.

والعرض: مستعمل في السعة وليس مقابل الطور لظهور أنه لا طائل في معنى ما
يقابل الطول، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [سورة

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٨٤١-٨٤٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فصلت: ٥١]...، وتشبيهه عرض الجنة بعرض السماء والأرض، أي مجموع عرضيهما لقصد تقريب المشبه بأقصى ما يتصوره الناس في الاتساع، وليس المراد تحديد ذلك العرض ولا أن الجنة في السماء حتى يقال: فماذا بقي لمكان جهنم.

وهذا الأمر شامل لجميع المسابقات إلى أفعال البر الموجبة للمغفرة ونعيم الجنة^(١).

قال الإمام الحافظ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رَحِمَهُ اللهُ: "ما بلغني عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث قط، إلا عملت به ولو مرة"^(٢).

وكان الأسود بن يزيد النخعي رَحِمَهُ اللهُ يَخْتُمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ، وَكَانَ يَنَامُ بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ، وَكَانَ يَخْتُمُ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ سِتِّ لَيَالٍ^(٣).

وقال علقمة بن مرثد رَحِمَهُ اللهُ: "كان الأسود يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى.

فقليل له: ما هذا الجزع؟

(١) التحرير والتنوير (٢٧ / ٤٠٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٤٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥١).





فقال: ما لي لا أجزع، والله لو أتيت بالمغفرة من الله، لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحيًا منه" (١).

قَالَ مُوسَى الطَّلْحِيُّ: اجْتَهِدَ الْأَشْعَرِيُّ قَبْلَ مَوْتِهِ اجْتِهَادًا شَدِيدًا، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَمْسَكَتَ أَوْ رَفَقْتَ بِنَفْسِكَ بَعْضَ الرَّفْقِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْخَيْلَ إِذَا أُرْسِلَتْ فَقَارَبَتْ رَأْسَ مُجْرَاهَا، أَخْرَجَتْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهَا، وَالَّذِي بَقِيَ مِنْ أَجْلِي أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ" (٢).

وقيل للربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ: لم تتعب نفسك؟

قال: راحتها أريد" (٣).

و"قيل للرجل يتحمل تعبًا عظيمًا في عبادة: ألا تريح نفسك؟ فقال: "راحتها أريد" (٤).

بمعنى أنه يتعب في الدنيا قليلًا وينتهي التعب ليرتاح في الآخرة بما يناله من الأجر العظيم من الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص: ١٠٨)، رقم (١٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٦٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٣).

(٣) عيون الأخبار، لابن قتيبة (٢/ ٤٠١)، والمجالسة وجواهر العلم، للدينوري (٤/ ٤٨).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٢٠٠).





فَبَادِرْ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمْرِ فُسْحَةً *** وَعَدْلُكَ مَقْبُولٌ وَصِرْفُكَ قِيمٌ

وَجُدٌّ وَسَارِعٌ وَاعْتِنِمِ زَمَانَ الصَّبَا *** ففِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ

وَسِرٌّ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا *** وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌ وَمَهْزَمٌ.

فيا غافلاً هذا زمن الزرع، فجد وسارع، ويا هاجراً لكتاب الله عزَّجَلَّ هذا شهر القرآن، شهر التلاوة والقيام فجد وسارع وأقبل على ربك وكتابه وانطرح بين يديه، وقل: يا الله عصيتك فأمهلتني، وأذنبت فسترني فاغفر لي ووقفني للتوبة النصوح.

أكثر من الاستغفار وطلب المغفرة من الله الغفور الرحيم، املاً صحيفتك استغفاراً فطوبى لمن ملاً صحيفته استغفاراً، وقد كان سيد ولد آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(١).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في حديث الأغر بن يسار المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة»^(٢).

أخي العزيز: واحبس لسانك عن الغيبة والبهتان وقول الزور، عود لسانك كثرة الذكر لله عزَّجَلَّ، فمن ذكر الله ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فطوبى لمن كان لسانه رطباً بذكر مولاه، فاللسان سلاح ذو حدين، إما أن يرفعك أعلا الدرجات أو يوردك

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).





الدركات، فرب كلمة يقوها الشخص لا يلقي لها بالأ ترفعه عند الله عزَّوَجَلَّ درجات، ورب كلمة يقوها لا يلقي لها بالأ تهوي به في نار جهنم والعياذ بالله، في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(١).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالأ، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالأ، يهوي بها في جهنم»^(٢).

أخي المبارك رحمني الله وإياك: هذه إشارة وتذكير بما هو المطلوب منا ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى﴾ [سورة الأعلى: ٩-١٠]، فاللهم هذا تذكير لِنَفْسِي أَوْلَا وَلِمَنْ اطَّلَعَ عَلَى هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ثَانِيًا، فَانْفَعْنِي بِهَا فِي الدَّارَيْنِ، وَانْفَعْ بِهَا مَنْ اطَّلَعَ عَلَيْهَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا، وَوَفَّقْنَا لِكُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمَسَارِعِينَ وَالْمَسَابِقِينَ لِلْخَيْرَاتِ وَالصَّالِحَاتِ يَا اللَّهُ يَا عَظِيمَ.

اللهم وفقنا لكل عمل يرضيك، وجنبنا يا الله كل عمل لا تحبه ولا يرضيك، وحبب إلينا الإيمان والطاعات، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اللهم إنا

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).





زاد السائر إلى الله عز وجل

نسألك الإخلاص في الأقوال والأعمال، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه / أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي.

غرة رمضان المبارك لعام ١٤٤٦ هـ.





اغتنام العشر الأخيرة

الحمد لله الكريم الوهاب، من علينا بجميع النعم، القائل في كتابه الكريم:
﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها إن الله لغفورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل: ١٨]،
 والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، محمد بن عبدالله الصادق
 الأمين صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الكرام وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم
 الدين، أما بعد:

فإن من نعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على بني آدم أن جعل هناك مناسبات تضاعف فيها
 الأعمال، وتضاعف الحسنات، وتكفر فيها الذنوب والسيئات، ومن تلك
 المناسبات شهر رمضان المبارك، ذلك الشهر الذي أنزل فيه القرآن فكان خير
 الشهور، ونزل في العشر- الأواخر منها فكانت هي خير ليالي رمضان، وأنزل في
 ليلة منها فكانت مباركة وكانت خير من ألف شهر، إنها ليلة القدر.

وقد ورد في فضل هذا الشهر المبارك أحاديث كثيرة منها: حديث أبي هريرة
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان
 صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب،





زاد السائر إلى الله عز وجل

وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»^(١).

وفي شهر رمضان العشر- الأواخر منه هي أفضل من التي قبلها، وفيها ليلة القدر التي من قامها إيماناً واحتساباً يبلغ أعلى الدرجات، فهي خير من ألف شهر كما أخبر ربنا جلّ وعلا فقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [سورة القدر: ١-٥].

فهنيئاً ثم هنيئاً لمن قام هذه الليلة إيماناً واحتساباً، وذلك لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

فيستحب الاجتهاد في هذه العشر- المباركة؛ لنفوز بالفضل العظيم، ولنا في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد فيها ما لا يجتهد في

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٦٨٢)، وابن ماجه، برقم (١٦٤٢)؛ وصححه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨٨٣)، والحاكم في المستدرک برقم (١٥٣٢)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة"، والألباني في صحيح الجامع، برقم (٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٦٠).





غيرها؛ لحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: "كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخلت العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله" ^(١).

ومن الأعمال التي كان يحافظ عليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه العشر- عبادة الاعتكاف كما في حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: "كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف العشر الأواخر من رمضان" ^(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد في العشر- الأواخر ما لا يجتهد في غيره" ^(٣)، وهذا شامل للاجتهاد في تلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والصدقة، وغير ذلك من الأعمال.

ولكون ليلة القدر غير معلومة ولم تُحدد بليلة معينة فلا بد من الاجتهاد والمسارعة في العشر- كلها فمن اجتهد فيها وسارع بالأعمال الصالحة فيها فإنه ولا بد يظفر بهذا الفضل العظيم في هذه الليلة المباركة.

ولعل من حكمة الله عَزَّوَجَلَّ في إخفائها أن يقوم الناس بتحريها بحيث يكثر اجتهادهم في العبادة فتكثر الأعمال وتكثر الأجور، وقد حث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٩٢٠)، ومسلم، برقم (١١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٩٢١)، ومسلم، برقم (١١٧١).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١١٧٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

بتحري ليلة القدر عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تَحْرُوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»^(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «التمسوها في العشر- الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»^(٢).

وقد سئل ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: أيام عشر- ذي الحجة أفضل من أيام العشر- من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة"^(٣).

فعلى الإنسان أن يحرص كل الحرص على اغتنام هذه الأيام المباركة ولا يفرط فيها، وعليه أن يتذكر بأنها أيام معدودات، فيكثر من قراءة القرآن، ويطيل القيام بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا، ويتضرع بين يديه سبحانه يدعو ويناجيه، وعليه أن يحرص على تحري أوقات الإجابة خاصة في الثلث الأخير من الليل، وقت النزول الإلهي، حين ينزل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٩١٣).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٩١٧).

(٣) الفتاوى الكبرى (٢/٤٧٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

فأغفر له كما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»^(١).

فالليل محراب العابدين، ومثوى الساجدين، وروضة المخبتين، يناجون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى بكلامه، ويسألونه من عطائه، ويُعَفِّرُونَ جباههم بذل التوبة وعِزِّ العبودية لله رب العالمين، وَيَخْنُونَ رؤوسهم لجبار السماوات والأرض، وملك الملوك، دموعهم منهمة، وأيديهم ضارعة، وقلوبهم واجفة، ونفوسهم مولعة، يرجون الله ويخافونه، ولقد كان النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقف في خشوع وضراعة، ومناجاة ومناداة حتى تتشقق قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: إن كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له - يعني لم تفعل ذلك بنفسك - فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٢).

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠٦٤)، ومسلم، برقم (٧٥٨) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٠٧٨)، ومسلم، برقم (٢٨١٩)، ورقم (٢٨٢٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

ولنا فيه أسوة حسنة قال الله عزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لَمَّنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعننا على طاعته، وأن يوفقنا لمتابعة سيد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقنا لقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، وأن يعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وإخواننا، وجميع المسلمين من النار.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وسلم.

بقلم / أبي عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي





سرعة الأيام واغتنام ما بقي من رمضان

الحمد لله الذي جعل تعاقب الأيام والليالي عبرةً لأولي الأبصار، وميداناً للترود من الطاعات، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ الذي دلَّ أمته على كل خير، وحثَّها على اغتنام الأوقات قبل فواتها، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم ما يوقظ القلب ويبعثه على المسارعة إلى الطاعة: تأمل سرعة مرور الأيام والليالي، فإنها تمضي بالإنسان مسرعةً نحو أجله، وكل يوم يمضي إنما يطوي صفحةً من عمره.

فما أن يضع الإنسان رأسه على الوسادة لينام إلا ويشرق نور الفجر، وما إن يستيقظ ويبدأ يومه إلا ويأتي موعد النوم من جديد.

وما أن يأتي بداية الأسبوع ولا تشعر إلا وأنت في آخره، وهكذا الشهور والأعوام، تمضي مسرعة كأنها لحظات عابرة.

وقد قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ أَوْ أَرَادَ

شُكْرًا ﴿٦٢﴾ [سورة الفرقان: ٦٢].

بالأمس القريب ونحن نستقبل شهر رمضان المبارك شهر القرآن، شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار وها هو اليوم في الليلة الرابعة من العشر الأواخر.





والسعيد حقاً أيها الأحبة من ملاً صحيفته بالصالحات، وشغل وقته بالقربات،
وحافظ على الفرائض والنوافل، ومن ذلك:

- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها مع جماعة المسلمين.
- أداء السنن الرواتب.
- الحرص على صلاة الضحى، ولتكن أربع ركعات.
- التردد مع المؤذن والذكر بعد الأذان.
- المحافظة على أذكار الصباح والمساء.
- الإكثار من قراءة القرآن، خاصة في شهر القرآن.
- الإكثار من الباقيات الصالحات والاستغفار (سبح، هلى، كبر، حوقل، استغفر).
- قول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم مائة مرة صباحاً ومساءً.
- الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صباحاً ومساءً، وأقل ذلك عشر مرات.
- الإحسان إلى الوالدين والجيران والمسلمين أجمعين.
- أيُّ عملٍ صالحٍ تقدر عليه فافعله، ولا تتردد فيه، وأيُّ طريقٍ يقود إلى معصية أو شر ففرّ منه فرارك من النار.





زاد السائر إلى الله عز وجل

فالأحداث تتسارع من حولنا، والموت يتخطف الناس من بين أيدينا، يتخطنا إلى غيرنا ويُخشى أن يتخطى غيرنا إلينا؛ لذا علينا باغتنام الأوقات والمسارة في الخيرات، والإكثار من تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وتدبره خاصة في هذا الشهر المبارك، والمحافظة على ما سبق الإشارة إليه من أعمال.

وعلىنا أن نقارن عبادتنا بعبادة السلف الصالح وما كانوا عليه من العبادة والمسارة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وتلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والتقوى والخوف من الله جَلَّ وَعَلَا، فالدنيا زائلة فانية ما ذكرها الله سبحانه في القرآن إلا ودمها، فهي متاع الغرور والآخرة هي دار البقاء والدوام.

إما سعادة أبدية أو شقاء وعذاب أبدي.

فيا خسارة من أدرك المواسم العظيمة ثم خرج منها كما دخل!

فاللهم إنا نعوذ بك من الغفلة والاغترار بالدنيا، ونسألك التوفيق والعون والسداد، وحسن العمل والتوفيق لكل خير.

اللهم اجعلنا ممن صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً، وأعنا فيه على الصيام والقيام وقراءة القرآن.

اللهم إنا نسألك حُسن الخاتمة، اللهم اختم لنا بخير وعلى خير، وأنت راضٍ عنا يا أرحم الراحمين.





زاد السائر إلى الله عز وجل

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

ليلة الجمعة ٢٤ رمضان ١٤٤٧ هجرية

اليمن - صنعاء.





زاد السائر إلى الله عز وجل

الغاية من عبادة الصيام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين، أما بعد:

فإن الله عزَّجَلَّ شرع الصوم لغاية شريفة جدًّا وهي الوصول إلى تقوى الله عزَّجَلَّ
كما في قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، فيجب على العبد أن
يسلك الأسباب التي تُوصله إلى تحقيق هذه الغاية وهي تقوى الله عزَّجَلَّ.

وفي الآية إخبار بأن الصوم كتبه الله عزَّجَلَّ على الأمم السابقة، وهذا فيه تسلية
للمسلمين ليُهون عليهم صيام شهر رمضان المبارك، ثم زاد في تهوين الأمر وأن
ذلك سهل قليل بقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤].

ثم مزيدًا من التيسير على العباد قال جل وعز بعد ذلك: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ
وَالْقَوَى البَاطِنَةِ، وَحِمِيَّتِهَا عَنِ التَّخْلِيصِ الجَالِبِ لَهَا المَوَادِّ الفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوَلَتْ
عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ المَوَادِّ الرَّدِيئَةِ المَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى





الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتْهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلْبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ

الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا

كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَنفُونَ﴾ (١)

والتقوى قيل في معناها كلام كثير مؤداه: أنها بمعنى الوقوف عند حدود الله عزَّجَلَّ لا يقع فيها، والعمل بما فرض عليه والانتهاز عما نهي عنه. بحيث لا يقصر ولا يتعدى.

وقال طَلُّقُ بْنُ حَبِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّهَا: "هي العمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله" (٢).

فتفقد نفسك كيف أنت وتقوى الله عزَّجَلَّ؟ هل حققت شيئاً منها؟ مضى من رمضان ما يقرب النصف فعلى كل واحد منا أن يراجع حسابه.

نسأل الله عزَّجَلَّ أن يجعلنا من المتقين، وأن يوفقنا لتقواه والخوف والخشية منه سبحانه، ونسأله أن يرزقنا مراقبته في السر والعلن، وأن يطهر قلوبنا من الأدناس وأن يصلحها، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يقينا شر أنفسنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

كتبه /

محمد بن عبدالله العبدلي

مساء الجمعة ١٤ رمضان ١٤٤٦ هجرية

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٢).





الباب الرابع: مقالات تربوية وتنبيهات

يحتاج المسلم في سيره إلى الله عَزَّجَلَّ إلى من يرشده ويبين له بعض الأخطاء التي قد يقع فيها، وينبئه إلى أمور قد تخفى عليه.

وفي هذا الباب جملة من المقالات التربوية والتنبيهات التي تتناول بعض القضايا المهمة، وتبين بعض المواقف والعبر التي يستفيد منها المسلم في حياته، ليكون على بصيرة من أمره، حريصاً على سلامة دينه وصلاح قلبه.

تنبيهات مهمة لكل كاتب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا أيها الكاتب اللبيب: هذه كلمات ونصائح قد يحتاجها من يتصدر للكتابة والرد على المخالف ابتعد عن:

أولاً: ابتعد عن الظلم: وظلم المخالف يكون له صور متنوعة منها: (قد تفهم من كلامه غير مراده فتقول له ما لم يقل - عدم العدل معه والله سبحانه يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ





أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿٨﴾ [سورة المائدة: ٨]، - اتهام نيته - وغير ذلك). فالظلم ظلمات يوم القيامة.

ثانياً: حين ترد على المخالف تجنب الكلمات المسيئة والجارحة التي يترفع الإنسان

عن النطق بها؛ لعموم قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

ثالثاً: حين ترد على المخالف على مسألة ما خالف فيها تقيّد بها، فقد تتهمه

بالعجب والغرور مثلاً وتخرج عن المسألة فتأتي لتعريف العجب والأدلة على تحريمه وأقوال أهل العلم في ذلك.

رابعاً: لا يكن فهمك أو فهم شيخك أو فهم حزبك أو جماعتك هو الميزان الذي

تحاكم الناس عليه، بحيث يكون لسان حالك: (إذا لم تكن معي أو على فهمي أو فهم حزبي أو فهم شيخي فأنت وأنت...).

خامساً: إن كان ردك انتصاراً للنفس على من تكلم عليك مثلاً، أو رد عليك ولم

يكن نصرة لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِدَعِ الْكِتَابَةَ خَيْرَ لَكَ.

سادساً: إن كان همك رجوع من خالف إلى الحق فاستخدم العبارة التي تُظهر

الحق بالحجة والبرهان بدون تشنج، وإبراز عضلات، واستخدام ألفاظ لا تليق بك

ولا أن تصدر عنك، كما أنها لا تليق بمن ألقيتها عليه، يبقى أنه مسلم.





سابعاً: المسألة التي ترد عليها أحياناً يكون الخلاف فيها سائغ، ومن قال بها له سلف، فهذه تختلف عن خالف نصاً من كتاب الله عزَّجَلَّ أو سنة ثابتة عن النبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثامناً: أنت مسؤول عن كل ما تقول وتكتب: عليك أن تعلم أيها الكاتب والناشر أنك مسؤول بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا تَكْتُبُ وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨]، كلها ألفاظ دالة على العموم.

فأحسن اختيار الكلمات المكتوبة والمسموعة، وعليك أن تكون مشفقاً على من ترد عليه، راجياً له الرجوع للحق والصواب، داعياً له بالتوفيق للحق، وما أجمل قول القائل وأجمل بقوله:

فلا تكتب بكفك غير شيء *** يسرك في القيامة أن تراه.

فهذه إشارات ونصائح كتبتها على عجل قصدت بها الزلفى إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لك غنمها وعلى كاتبها غرمها، فاللهم تقبلها مني، ونفع بها كاتبها، وقارئها في الدارين.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل.

وإن تجد عيباً فسد الخلا *** جل من لا عيب فيه وعلا.





زاد السائر إلى الله عز وجل

والحمد لله رب العالمين.

كتبها/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدي



تمهل قبل أن تكتب

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

أخي الكريم: يا من عقدت العزم على الكتابة والبيان (تمهل قبل أن تكتب)، واعلم رحماني الله وإياك أن الكلمة أمانة، وأن القلم وما تخطه البنان على الورق أو الهاتف أو الكمبيوتر شاهد لك أو عليك، وأن الله عزَّجَلَّ لا يقبل منك إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، وقف عند أمر الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "أي: كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، كما قال الحسن البصري في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلم، ويعفو، ويصفح، ويقول للناس حسنًا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيهِ اللهُ" (١).

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: "أمر بالإحسان إلى الناس عمومًا فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيمهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (١ / ٣١٧).



ولما كان الإنسان لا يسع الناس بهاله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيهًا في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملًا لكل أحد، صبورًا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالًا لأمر الله، ورجاء لثوابه^(١).

أخي الحبيب: فكلما أردت أن تأخذ القلم أو الهاتف أو الكمبيوتر للكتابة تمهل! تمهل قبل أن تكتب.

- ماذا ستكتب؟

- ولماذا ستكتب؟

- وهل ما تكتبه يُرضي الله سبحانه؟

فإن كان نعم فهو المطلوب، وإن كان لا فأعرض ولا تكتب خير لك.

- هل ما تكتبه لله عزَّوجلَّ؟ وقصد النصيحة أم انتصارًا لنفسك وحبك

وجماعتك؟

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٥٧-٥٨).





زاد السائر إلى الله عز وجل

- فإن كانت الأولى فنعم ما قمتَ به، وإن كانت الأخرى فالإعراض أولى.
- وليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر.
 - وليكن نقدك للخطأ صحيحًا بعيدًا عن الفجور في الخصومة والبهتان، ولا تقوله بما لم يقل، أو تلزمه بما ليس بلازم، ولا يكن نقدك وردك انتصاراً لنفسك وحزبك، وأن يكون سليماً من السب والشتم والألفاظ التي يترفع عنها العوام.
 - إياك والتطاول على الكبار من أفنى عمره في خدمة الدين تعلمًا وتعليمًا، واعلم بأنك إن فعلت ذلك فلن تضر إلا نفسك.
 - واعلم بأن البحر لا ينجس برمي القاذورات فيه.
 - ولا تكن كمن يعالج الزكام بما يسبب الجذام.
 - ولا ترد الخطأ بمثله أو أشد، ولا المنكر بمنكر.
 - ومن عصى الله عَزَّوَجَلَّ فيك فلا تعص الله سبحانه فيه. بمعنى إن سبك وشتمك وافترى عليك واغتابك شخص فهذه معصية الله عَزَّوَجَلَّ فلا يكن هذا مبررًا لك لمعصية الله عَزَّوَجَلَّ فيه بأن تغتابه أو تسبه أو تفترى عليه، فالحرام حرام، يجوز لك أن تنتصر لنفسك لكن لا تتجاوز بحيث إن كذب عليك فتبين كذبه وافترائه ولا يجوز لك بحال أن تكذب عليه بحجة أنه كما كذب عليك تكذب عليه، أو افترى عليك أن تفترى عليه.
 - الرد على المبطلين من أفضل القرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولكن الرد ليس لكل أحد، وأن للرد آدابًا فاحرص عليها؛ ليكون ردك مقبولاً عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويضع له القبول





عند خلقه، بل على المردود عليه أحياناً، بخلاف الرد حين يكون فيه ألفاظ وكلمات لا تليق، فإن ذلك قد يكون سبباً في الإعراض عن القراءة ولو كنت مُحَقِّقاً.

وإن من الفجور في الخصومة ومن الظلم أيضاً:

حين تُخرج إنساناً من السنة بمجرد أن تختلف معه؟ أو بمجرد أن يختلف هو مع من تُحب، ولو كان الخلاف في مسألة اجتهادية، والخلاف فيها سائغاً.

ومن الظلم أيضاً رمي من تختلف معه بالفواقر، وتفترى عليه بما ليس فيه، وتقوله مالم يقل، فكيف إذا كان ذلك مع أهل العلم والفضل! وكيف إذا كان ذلك مع من تعرفه لكن لحظوظ نفس!

فالإنصاف الإنصاف.

وللأسف أصبحنا في زمن الإنصاف فيه أندر من الكبريت الأحمر كما يُقال.

وأخيراً أخي الفاضل:

إن كان قصدك الخير بردك فتخير الأسلوب الأجل الذي يكون سبباً لقبول نصحك وردك عند المردود عليه ومن يقرأ كلامك.

وتذكر أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقول لأكبر طاغية فرعون قولاً لينا: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه: ٤٤]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون





زاد السائر إلى الله عز وجل

إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ يا من يتحجب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه؟

وقال وهب بن منبه: قولاً له: إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة" (١).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: "أي: سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لَعَلَّهُ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَنْذِرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾

﴿إِنِّي أَن تَزَكَّى﴾ (١٨) ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى﴾ (١٩) [سورة النازعات: ١٨-١٩] فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ "هل" الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل: "أزكيك" بل قال: "تزكي" أنت بنفسك.

ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعمة الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى﴾ (١٩) فلما لم يقبل هذا

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥ / ٢٩٤).





الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينجع فيه تذكير فأخذه الله أخذ
عزیز مقتدر" (١).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**

﴿ **وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ:

"أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على
العلم النافع والعمل الصالح، ﴿ **بِالْحِكْمَةِ** ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه
وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى
الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا
فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب
والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار
وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقيم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين
من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية
إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته
عقلاً ونقلاً.

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٥٠٦).





ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدونها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"^(١).
وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: "ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفقَّ ويُسدِّدَ ويُعان، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبالِ بَيْنَ اللهِ الحق على لساني أو لسانه"، وقال أيضاً: "ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ"^(٢).

فاجعل أخي الفاضل: ردك مبنياً على نصوص الوحي، وأقوال أهل العلم المعتبرين، ولا تُقابل الخطأ بالخطأ، ولا الجهل بجهل، فإن الغاية لا تُبرر الوسيلة، وإن من أعظم أسباب القبول أن يكون الرد مهذباً، ناصحاً، نابغاً من رحمة، خالياً من الطعن والتشهير.

وليكن لك في أئمة الإسلام أسوة، فقد كانوا يردون على أهل البدع والمخالفين، ويبينون زللهم، ولكن بصدق وعدل وإنصاف، لا بسبٍّ ولا طعن.
واعلم بأن الكلمة الطيبة مفتاح القلوب، وأن ردك إن خرج من قلب مخلص، وبُني على علم، وصيغ بأدب، فسيقع موقعه، ويؤتي ثمرته بإذن الله عزَّوجلَّ.

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٤٥٢).

(٢) ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم (ص: ٣٢٦)، وحلية الأولياء، لأبي نعيم (١١٨/٩)، والفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (٢٦/٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به، اللهم ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه»^(١)، أخرجه مسلم في صحيحه.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(٢).

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة؛ فالواجب على العلماء والأمرء والدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَنْهَجُوا هَذَا الْمَنْهَجَ الَّذِي أَرشَدَ اللهُ إِلَيْهِ وَأَرشَدَ إِلَيْهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يَنْصَحُوا النَّاسَ وَيُعَالِجُوا مَشَاكِلَهُمْ بِالطَّرِيقِ الَّتِي أَرشَدَ اللهُ إِلَيْهَا سَبْحَانَهُ وَأَرشَدَ إِلَيْهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ ظَلَمَ وَعْتَدَى وَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِ التَّوْجِيهُ وَالنَّصِيحَةُ وَجِبَ عَلَى وِلَاةِ الْأَمْرِ أَنْ يَعْاقِبُوهُ بِالْعُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم (١٨٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة، برقم (٤٩٤٤)، وأصله عند مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥)، بلفظ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «الله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».





ومن ثبت عليه ما يوجب إقامة الحد أو التعزير وجب تنفيذ حكم الله فيه بواسطة أولي الأمر ومن يستنبونه في ذلك ردعاً له ولأمثاله، وحماية للمجتمع الإسلامي من جميع أنواع الفساد^(١).

واعلم أخي الكريم:

بأن المسلم ليس بالسباب ولا باللعان ولا بالفاحش البذي، واجعل نصب عينك قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾** [البقرة: ٨٣] [سورة البقرة: ٨٣]، فلنستجب لأمر الله سبحانه فلا يقول أحدنا إلا الخير، والقول الحسن الطيب، والله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً.

واعلم بأن ردك لا يقبل عند الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا إذا كان لله **جَلَّ وَعَلَا**، ولا يقبل عند الخلق إلا إذا كان مبنياً على العلم، محكماً بالدليل، موزوناً بميزان الإنصاف، مجرداً من الألفاظ غير الحسنة، خالياً من الشتم واللمز وسوء الظن، ممثلاً قول الحق **جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾**، ما دمت تريد بردك الخير، والنصح له.

وختاماً: أقول مذكراً:

(تمهل قبل أن تكتب)، وسأل نفسك: ماذا سأكتب؟ ولماذا أكتب؟ وهل ما سأكتبه يرضي الله **عَزَّوَجَلَّ**؟

(١) من سؤال وجه لساحته من جريدة عكاظ بمناسبة دخول شهر رمضان المبارك عام ١٤١٣هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٣٥٩/٢٧). وهو في موقعه على الرابط:

<https://u.pw/Lz8hakqA>





فأخلص النية لله جَلَّ وَعَلَا، وكن عوناً على نشر الخير السنة، لا سبباً في التنفير
وجحد الحق ورده.

فاللهم بصرنا بعيوبنا وقنا شر أنفسنا، وفقني الله وإياكم للإخلاص في القول
والعمل، وجنبنا الزلل في القول والعمل، "إلهي لا تعذب لساناً يُخبر عنك، ولا عيناً
تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب حديث
رسولك. فبعزتك لا تدخلني النار، فقد علم أهلها أنني كنت أذب عن دينك"^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

كتبه / أبو عبد الله

محمد بن عبد الله العبدلي

اليمن - صنعاء.

آخر تعديل عليه بعد عصر الاثنين

العاشر من شهر صفر عام ١٤٤٧ من الهجرة.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٩٩).





سؤال لمن يهنئ النصارى بعيد ميلادهم

الحمد لله الواحد الأحد، المنزه عن الصاحبة والولد، القائل في كتابه الكريم:

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَدَّ ۖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة

الإخلاص: ٣-٤]، والصلاة والسلام على البشير النذير محمد بن عبدالله الصادق

الأمين الذي بشر به عيسى بن مريم عبدالله ورسول صلى الله عليه وسلم كما أخبر الله عنه

في كتابه الكريم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف: ٦]، أما بعد:

فهذا سؤال يطرح نفسه لمن يهنئ النصارى باحتفالهم: النصارى يحتفلون بعيد

ميلادهم **فبماذا يحتفلون؟**

وأنت حين تهنتهم: **على ماذا تهنتهم؟**

ويمكن أن يقال:

معلوم عند الجميع أن النصارى يحتفلون في عيد الميلاد بمولد عيسى عليه السلام

على أنه ابنُ الله عزَّ وجلَّ أو أن الله تجسَّد فيه، تعالى الله وتنزهه عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا هو أصلُ احتفالهم، وليس مجرد ذكرى تاريخية أو مناسبة اجتماعية، ألم يقل

الله عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ

فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ١٧].





وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

[سورة مريم: ٣٥].

فأنت يا حضرة المهني الوسطي (كما يُقال) حين تهنئهم على ماذا تهنئهم؟
حين تقول: "عيد ميلاد سعيد"، أما تخشى أن يكون فعلك هذا في حقيقة الأمر
اقرار لهم على أصل احتفالهم؟

فالتهنئة ليست مجاملةً مجردة، بل مشاركة معنوية وإظهار رضاً بشعيرة من شعائرهم الدينية وقد تكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في المسألة بكلام بديع ينبغي مراجعته والوقوف عنده في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم).

وكذا تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه أحكام أهل الذمة فقال رَحِمَهُ اللهُ: "وَأَمَّا التَّهْنِئَةُ بِشَعَائِرِ الْكُفْرِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَحَرَامٌ بِالْإِتِّفَاقِ مِثْلَ أَنْ يَهْنِئَهُمْ بِأَعْيَادِهِمْ وَصَوْمِهِمْ، فَيَقُولَ: عِيدٌ مُبَارَكٌ عَلَيْكَ، أَوْ تَهْنَأُ بِهَذَا الْعِيدِ، وَنَحْوَهُ، فَهَذَا إِنْ سَلِمَ قَائِلُهُ مِنَ الْكُفْرِ فَهُوَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يَهْنِئَهُ بِسُجُودِهِ لِلصَّلِيبِ، بَلْ ذَلِكَ أَعْظَمُ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَشَدُّ مَقْتًا مِنَ التَّهْنِئَةِ بِشُرْبِ الْحَمْرِ وَقَتْلِ النَّفْسِ وَارْتِكَابِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ وَنَحْوِهِ.

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ لَا قَدَرَ لِلدِّينِ عِنْدَهُ يَقَعُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَدْرِي قُبْحَ مَا فَعَلَ، فَمَنْ هُنَا عَبْدًا بِمَعْصِيَةٍ أَوْ بِدَعَةٍ أَوْ كُفْرٍ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمَقْتِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْوَرَعِ





زاد السائر إلى الله عز وجل

مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَجَنَّبُونَ تَهْنِئَةَ الظَّلَمَةِ بِالْوَلَايَاتِ، وَتَهْنِئَةَ الْجُهَّالِ بِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ
وَالتَّدْرِيسِ وَالْإِفْتَاءِ تَجَنُّبًا لِمَقْتِ اللَّهِ وَسُقُوطِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ، وَإِنْ يُلَى الرَّجُلُ بِذَلِكَ
فَتَعَاطَاهُ دَفْعًا لِسَرِّ يَتَوَقَّعُهُ مِنْهُمْ فَمَشَى إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، وَدَعَا لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ
وَالتَّسَدِيدِ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ" (١).

وهنا سؤال: مَنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ (من غير المعاصرين) أجاز التهنية للنصارى بعيد
ميلادهم؟ سم لنا ثلاثة أو أربعة.

وأختم مذكراً بقول الله عزَّوجلَّ عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ﴾ [سورة المائدة: ١٧].

وبقول الله جلَّ وعلا: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۗ﴾ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
﴿٤﴾ [سورة الإخلاص: ٣-٤].
وبسورة الكافرون.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه / أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

ليلة الجمعة الثالث عشر من رجب عام ١٤٤٧ هجرية

(١) أحكام أهل الذمة - ط رمادي (١/ ٤٤١-٤٤٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

العلاج سبب للشفاء وتطبيب لنفس المريض

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ ما أنزل من داء إلى وجعل له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله، والعلاج والدواء هو سبب من أسباب الشفاء والشافي هو الله سبحانه، وقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ»^(١).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "فهذا فيه تنبيه حسن بين، وذلك أنه قد علم أن الأطباء يقولون: إن المرض خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده إليه وحفظ الصحة بقاءه عليه، فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض...

فكانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلافى بآخر كلامه ما قد يعارض به أوله، بأن يقال: فإنك قلت: «لكل داء دواء» ونحن نجد كثيرًا من المرضى يداوون فلا يبرؤون. فنبه على

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٢٠٤).





أن ذلك لفقد العلم بحقيقة مداواة لا لفقد الدواء، وهذا تتميم حسن في الحديث^(١).

والأدوية والعلاجات متنوعة، فمنها: الرقية الشرعية وهي أن تكون من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ومنها ما يكون بما أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالخجامة والعسل وشرط المحجم، والعود الهندي والحبة السوداء.

والعلاج سبب من أسباب الشفاء والشافي هو الله عَزَّوَجَلَّ فقد يُعالج شخص ويُشفى ويعالج آخر بنفس العلاج لنفس المرض فلا يشفى؛ لأن هذا سبب والشافي هو الله عَزَّوَجَلَّ، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: "المعالجة إنما هي لتطيب نفس العليل، ويأنس بالعلاج، ورجاء أن يكون من أسباب الشفاء كالتسبب لطلب الرزق الذي قد فرغ منه.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء**»، دليل على أن البرء ليس في وسع مخلوق أن يعجله قبل أن ينزل ويقدر وقته وحينه، وقد رأينا المتسبين إلى علم الطب يعالج أحدهم رجلين وهو يزعم أن علتها واحدة في زمن واحد وسن واحد وبلد واحد، وربما كانا أخوين توأمين غذاؤهما واحد، فعالجها بعلاج

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ١١٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

واحد فيفريق أحدهما ويموت الآخر، أو تطول علته ثم يفريق عند الأمد المقدور له" (١).

وأخرج مسلم في صحيحه عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه شكَا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» (٢).

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: "هذا العلاج من الطب الإلهي؛ لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته، وتكراره يكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد لغيرها" (٣).

وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "ففي هذا العلاج من ذكر الله، والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته، وقدرته من شر الألم ما يذهب به، وتكراره؛ ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء؛ لإخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها" (٤).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥ / ٢٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٢٠٢).

(٣) فيض القدير (٤ / ٢٥٦).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٧٢).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرقى بهذا الدعاء العظيم: «اللهم رب الناس

مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا»^(١).

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على الحديث: "ففي هذه الرقية توسل إلى

الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا

شفاءه، فتضمنت التوسل إليه بتوحيده، وإحسانه، وربوبيته"^(٢).

فالمريض عليه أن يتوسل إلى الله عَزَّجَلَّ بربوبيته العامة: «اللهم رب الناس»؛ لأن

الله هو الخالق المالك المدبر، خلقتني أنت تمرضني وأنت تشفيني، قدرت عليّ

المرض أسألك الشفاء، أسألك أن ترفعه، الطبيب سبب، الدواء سبب، الشافي هو

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنزل القرآن رحمة للعالمين ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ

رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [سورة يونس: ٥٧].

وجعل الله جَلَّ وَعَلَا القرآن شفاءً لأمراض القلوب، شفاء من الوسواس والشك

والنفاق، وشفاء من الشبهات والشهوات، والحسد وسوء الظن.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ [سورة الإسراء: ٨٢]، قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "من" ليس

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٧٤٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٧٣).





زاد السائر إلى الله عز وجل

للتبعض، ومعناه: ونزل من القرآن ما كله شفاء أي: بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة فهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين.

﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن من ينتفع به

فيكون رحمة له" (١).

وقال السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: "فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة.

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل" (٢).

(١) تفسير البغوي (٥ / ١٢٣).

(٢) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٤٦٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [سورة فصلت: ٤٤]،

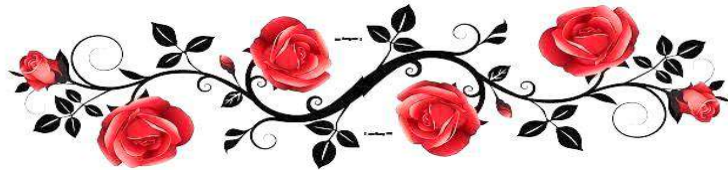
فالقُرآن كله شفاء، فاستشف بالقُرآن يا عبدالله لكل مرض نزل بك، استشف بالقُرآن وقرأه على كل مرض نزل بأهلك وأحبابك، وقرأ القُرآن على من أتاك مريضاً يطلب رقية فهو كلام الله عَزَّجَلَّ وأخبر سبحانه بأنه شفاء وكن موقناً بأنه شفاء، وهذا لا يعني أن تترك الذهاب إلى الطبيب ولا يعارضه، استشف بالقُرآن واذهب إلى الطبيب، ارق نفسك واذهب إلى الطبيب.

نسأل الله عَزَّجَلَّ بمنه وكرمه أن يجعل القُرآن العظيم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا، اللهم اجعلنا من العاملين به الواقفين عند حدوده، واجعله لنا شفاء لجميع أمراضنا، وشفيعاً لنا في الآخرة، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه / أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

ليلة الجمعة / ٢٧ شوال / ١٤٤٦ هجرية.





زاد السائر إلى الله عز وجل

الفرق بين الطيب والذباب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم، وبعد:

فمن العبارات التي تردد كثيراً: **«لا تكن كالذباب»**.

لا تكن كالذباب لا يقع إلا على الخبث والقاذورات، وهذه العبارة ليست على
إطلاقها، فقد تكون عبارة صحيحة من جهة، ولكن البعض يريد بها ترك النهي عن
المنكرات والاحتساب عليها، كيف ذلك؟

تكون صحيحة حينما يتكلم الإنسان عن المنكرات ليس غرضه إصلاحها أو
النهي عنها، وإنما قصده الشماتة بأصحابها، والفرح بزلات أصحابها وإشاعتها في
المجتمع، والوقوع في أعراض الناس وذكر مثالبهم، والفرح بعثراتهم وطلب
زلاتهم، فمن كان هذا حاله فهو كالذباب.

أما من أنكر المنكر؛ لكونه منكرًا ممتثلًا أمر الله عز وجل ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب استطاعته وبمراتبه، قصده في ذلك
سلامة المجتمع من المنكرات، وإزالة الباطل، فهو بمثابة الطيب.

ولكن عليك أخي الداعية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تأمر بالمعروف
بالمعروف وأحسن عبارة، وتنهي عن المنكر بالمعروف والقول الحسن، ولا تنه عن





منكر بمنكر أو ما يؤدي إلى منكر، وعليك أن تجعل نصب عينيك قول الحق
جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، وقال العلامة ابن سعدي
رَحِمَهُ اللهُ: "أمر بالإحسان إلى الناس عموماً فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ومن
القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام،
والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل
مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح
للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيهاً في أقواله
وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق،
واسع الحلم، مجاملاً لكل أحد، صبوراً على ما يناله من أذى الخلق، امتثالاً لأمر الله،
ورجاء لثوابه" (١).

وقول الله سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٣]، قال
العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: "وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٥٧-٥٨).





والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا**

الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وهذا أمر بكل كلام يُقَرَّبُ إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر

بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم

ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن

الجمع بينهما.

والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع

أمره" (١).

فما أروع الطبيب الحاذق فإنه يقع على مواطن الألم والوجع، وأحياناً يصل به

الأمر إلى تدخُّل جراحي أو بتر عضو من أعضائه؛ حفاظاً على بقية البدن.

وكذا النقد للأخطاء وإنكار المنكرات، وبيان فساد آراء المفسدين؛ تحذيراً لبقية

المجتمع من هؤلاء وأفكارهم بأسلوب حسن وعبارة لطيفة.

عليك أن توصل ما تريد بالطف عبارة ليكون لها أثرها على من تحتسب عليه أو

تأمره بالمعروف ما دام غرضك من نهيك عن المنكر ترك المنكرات،

بخلاف قول القائل: لا تكن كالذباب لا يقع إلا على القاذورات. أهذا يقال لمن

يريد طهارة المجتمع وإزالة الباطل!

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٦٠).





فإن وقع الطبيب على الموضوع السليم يريد علاج المريض وقام ببتره، أو قام بعملية جراحية لمريض لغير المرض الذي فيه فهذا دليل على فشله، والدليل على نجاحه وتمكُّنه من مهنته فإنه يقع على موطن الألم ولو وصل به الأمر إلى بتر عضو من أعضاء المريض، ويكون قصده في ذلك إنقاذ المريض والمحافظة على بقية الجسد.

والذباب يقع على القاذورات والتتن متلذذاً بها، آخذاً جزءاً منها.

فإن وقع على شيء طيب فإنه ينقل إليه الخبث والمرض، فهذه العبارة ليست على إطلاقها، ففهم ذلك.

فتشبيهه من يقوم بالنهاي عن المنكر والأمر بالمعروف بالذباب تشبيه خاطيء، ولا يصح إطلاقاً، والأمر بالمعروف والنهاي عن المنكر فيه شبه بالطبيب، الطبيب يقوم بمعالجة الأجساد من الأمراض، والأمر بالمعروف والنهاي عن المنكر يقوم بمعالجة المجتمعات من المنكرات والفساد، والأفكار المنحرفة، والأمر بالمعروف.

فاللهم وفق وأعن كل أمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر وأعنه وسدِّده وارزقه الأسلوب الحسن في الدعوة إليك يا رب العالمين، اللهم ووفق كل صاحب منكر للإقلاع عنه ويسر له التوبة منه.





زاد السائر إلى الله عز وجل

اللهم طهر قلوبنا من كل خُلُق لا يرضيك، وطهرها من الغل والحقد والحسد
والكبر، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق
والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.

اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل، وجنبنا يا ربنا الزلل في القول
والعمل، ووقفنا لكل خير يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

الأربعاء ٢٣ ذي القعدة / ١٤٤٦ هجرية

٢١ مايو / ٢٠٢٥ ميلادي.





زاد السائر إلى الله عز وجل

العفيفة الطاهرة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

الحمد لله الذي اختار لصحبة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير هذه الأمة، فحملوا الدين، وبلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، فكانوا الواسطة بيننا وبين الوحي، لا يُعرف الإسلام إلا عن طريقهم، ولا يُفهم إلا بفهمهم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وبعد:

فقد ابتليت الأمة عبر تاريخها بأقوام خاضوا في جناب الصحابة وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فانتقصوا من قدرهم، وطعنوا في عدالتهم، إمّا جهلاً بحقيقتهم، أو اتباعاً لأهواء ومذاهب تخالف ما كان عليه السلف الصالح.

ومن هنا تبرز أهمية بيان المنهج الحق في هذا الباب، وهو منهج أهل السنة والجماعة، القائم على حب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعاً، والترضي عنهم، والكف عما شجر بينهم، ومعرفة قدرهم وسبقهم، واليقين بأنهم خير القرون، وأن الطعن فيهم طعنٌ في الدين نفسه.

وفي هذه الورقات بيانٌ لهذا المنهج، تأصيلاً وتقعيداً، مع إيضاح أصوله وأدلتها، ليكون القارئ على بصيرة، ويسير على طريق واضح في هذا الباب العظيم.

منهج أهل السنة في الصحابة وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

فمن المعلوم أن منهج أهل السنة والجماعة حب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوليهم، وكذلك حب آله الأطهار وأزواجه العفيفات الطاهرات





وتوليهم ويتبرؤون من كل من أبغضهن أو أبغض الصحابة الكرام رضوان الله على الجميع، وأهل السنة والجماعة قائمون بالقسط شهداء لله، وقولهم حق وعدل لا يتناقض.

موقف الرافضة ومخالفته لمنهج أهل السنة

وأما الرافضة ففي أقوالهم من التناقضات الشيء الكثير ومن قرأ لهم أو شاهد قنواتهم يدرك ما عليه القوم من كذب وزور وسب ولعن لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وأبوها وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً، وأهل السنة والجماعة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة، وكذلك أمهات المؤمنين: عائشة وغيرها، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء، ويمسكون عما شجر بين الصحابة من الخلاف والقتال فتلك دماء عصمنا الله منها فنعصم ألسنتنا من الوقعة بهم.

موقف أهل السنة من أخطاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال شيخ الإسلام كلاماً أورده بتصريف: "وأهل السنة يقولون: إن أهل الجنة ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ، بل ولا عن الذنب، بل يجوز أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه، وهذا متفق عليه بين المسلمين.

وإذا كان هذا أصلهم فيقولون: ما يذكر عن الصحابة من السيئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه





زاد السائر إلى الله عز وجل

اجتهادهم، وما قدر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم: إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك، فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه: أنهم من أهل الجنة، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحد منهم على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم الجنة.

ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة، ولو لم يعلم أن أولئك المعينين في الجنة لم يجوز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمر لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يعلم أنهم يدخلون الجنة، ليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمر محتملة لا تدل على ذلك، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين، والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد منهم باطنًا وظاهرًا وحسناته وسيئاته واجتهاداته، أمر يتعذر علينا معرفته؟! فكان كلامنا في ذلك كلامًا فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام، ولهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيرًا من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال، إذ كان كثير من الخوض في ذلك أو أكثره كلامًا بلا علم، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة الحق المعلوم، فكيف إذا كان كلامًا بهوى يطلب فيه دفع الحق المعلوم؟!!

فمن تكلم بهذا الباب بجهل أو بخلاف ما يعلم من الحق كان مستوجبًا للوعيد، ولو تكلم بحق لقصد إتباع الهوى لا لوجه الله تعالى، أو يعارض به حقًا آخر لكان





أيضاً مستوجباً للذم والعقاب، ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الشناء على القوم، ورضي الله عنهم واستحقاقهم الجنة وأنهم خير هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة: منها ما لا يعلم صحته ومنها ما يتبين كذبه.

ومنها ما لا يعلم كيف وقع ومنها ما يعلم عذر القوم فيه، ومنها ما يعلم توبتهم منه.

ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال، وإلا حصل في جهل وكذب وتناقض كحال هؤلاء الضلال^(١).

وجوب محبة عائشة رضي الله عنها والدفاع عنها

ويتبرؤون كذلك من كل من يؤذي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وعن أبيها، فقد كانت أحب الناس إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجب علينا أن نحب ما يحبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد سئل النبي

(١) منهاج السنة، للشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣١٠ - ٣١٣)، بتصرف.





صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحب الناس إليك؟ فقال: «عائشة»، قيل: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»^(١).

فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى النِّسَاءِ

وأخبر أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام^(٢)، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "الثريد بفتح المثناة وكسر الراء معروف وهو أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين وربما كان أنفع وأقوى من نفس اللحم النضيج إذا ثرد بمرقته"^(٣).

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على هذا الحديث: "قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثرديد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساعه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً خليلاً)، برقم (٣٦٦٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (٣٧٦٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٦).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٩/٥٥١)، دار المعرفة.





زاد السائر إلى الله عز وجل

الثريد على غيره من الأطعمة وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتفال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة" (١).

من خصائصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وهي زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة كما بشرها بذلك فدل على أنها من أهل الجنة الأبرار، وبرأها الله من فوق سبع سماوات أنزل قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة، رآها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام جاء بها ملك في سرقة من حرير ويقول له هذه امرأتك، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه» (٢).

من فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ومن فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يعلمون من يُحب حبيبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتحرون بهداياهم يوم يكون عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٣).
ومن فضائلها أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يسلم عليها كما في حديث أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حدثته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «إن جبريل يقرأ عليك السلام قالت: فقلت: وعليه السلام ورحمة الله» (٤).

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٣٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٧).





زاد السائر إلى الله عز وجل

ومن فضائلها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِحَبِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَمَا تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مَرْطِي فَأَذَّنَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُكَ الْعَدْلُ فِي ابْنَةِ أَبِي قِحَافَةَ وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ بِنِيهِ أَلَسْتُ تَحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟»، فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: «فَأَحْبِبِي هَذِهِ»، قَالَتْ: فَقَامَتِ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتَهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نَرَاكَ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولِي لَهُ إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدُنكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قِحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَةَ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تَسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبُ وَأَتَقَى اللَّهُ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحْمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ابْتِدَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقَ بِهِ وَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا عَدَا سُورَةَ مَنْ حَدَّ كَانَتْ فِيهَا تَسْرِعُ مِنْهَا الْفِيئَةُ قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَائِشَةَ فِي مَرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا فَأَذَّنَ لَهَا رَسُولُ





زاد السائر إلى الله عز وجل

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلني إليك يسألك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي فاستطالت علي وأنا أرقب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكره أن أنتصر قالت: فلما وقعت بها لم أنشبهها حين أنحيت عليها قالت: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتبسم إنها ابنة أبي بكر»^(١).

ومن فضائلها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات في بيتها واستأذن أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ في أن يمرض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكانت تقول: مات بين سحري ونحري كما في حديث عن عائشة قالت: إن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتفقد يقول أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري^(٢).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟»، يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها قالت عائشة فمات في اليوم الذي يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقه، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٣).





زاد السائر إلى الله عز وجل

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبدالرحمن فأعطانيه فقضمته ثم مضغته، فأعطيته رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستن به وهو مستند إلى صدري" (١).

ثناء العلماء على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ومن فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بَكْرًا غَيْرَهَا، وَلَا أَحَبَّ امْرَأَةً مِثْلَهَا كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثم يقال لها: الحمراء" (٢).

ولم يتزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكْرًا غَيْرَهَا، وَلَا أَحَبَّ امْرَأَةً حَبِهَا، وَلَا أَعْلَمَ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ وَلَا فِي النِّسَاءِ مَطْلَقًا امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا. وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها، وهذا مردود، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، بل نشهد أنها زوجة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهَلْ فَوْقَ ذَلِكَ مَفْخَرَةٌ" (٣).

نقل الحافظ ابن كثير في بيان خصائص عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، برقم (٤٤٥٠)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٤٤٣)، واللفظ للبخاري.
(٢) "تصغير حمراء، يريد بها البيضاء، وامرأة حمراء أي: بيضاء" انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (١/١٠٤٤)، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (١١/٧٣)، وتهذيب اللغة، للأزهري (٥/٣٧).
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢/١٤٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "تزوج الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بستين، وقيل: بثلاث، وبني بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة سنة ثمان وخمسين، ومن خصائصها: أنها كانت أحب أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، كما ثبت ذلك عنه في البخاري وغيره، أنه سئل أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة". قيل: فمن الرجال؟ قال: "أبوها"، ثم ذكر جملة من خصائصها فمنها:

أنها أحب الناس إليه كما في الحديث المتقدم.

ومنها: أنه لم يتزوج بكراً غيرها.

ومنها: أن الوحي كان ينزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في لحافها دون غيرها من النساء.

ومنها: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أنزل الله عليه آية التخيير بدأ بها فخيرها، فقال: «ولا عليك أن تعجلي حتى تستأمري أبويك»، فقالت: أفي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة" فاستن بها بقية أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: أن الله برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل عذرها، وبرأها، وحيًا يتلى في محارب المسلمين، وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها أنها من الطيبات، ووعدا المغفرة والرزق الكريم وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً





زاد السائر إلى الله عز وجل

لها، ولم يكن شرًّا لها، ولا عيب، ولا خافض من شأنها بل رفعها الله بذلك، وأعلى قدرها وعظم شأنها.

ومنها: أن أكابر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كان إذا أشكل عليهم أمر في دين الله سألوها يجدوا عندها علمًا.

ومنها: أن الملك أرى صورتها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يتزوجها في خرقة حرير، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن يكن هذا من عند الله يمضه».

ومنها: أن الصحابة الكرام كانوا يتحرون هداياهم يومها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقريبًا إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيتحفونه بما يحب في منزل أحب نسائه إليه رضي الله عن الجميع، ومنها: أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عنده فرأته في صورة دحية بن خليفة الكلبي [لحديث فيه أن النبي قال لها: من هذا؟ فقالت: هذا دحية الكلبي] (١) أ.هـ.

عشر خصائص تذكرها عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن نفسها

وفضلت على بقية أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر قالت عن نفسها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها: فضلت على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت:

١. لم ينكح بكرًا غيري.

(١) تفسير ابن كثير، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٦/٤٠٤-٤٠٦).





زاد السائر إلى الله عز وجل

٢. لم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري.
٣. وأنزل الله برائتي من السماء.
٤. وجاء جبير عَلَيْهِ السَّلَامُ بصورتي من السماء في حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك.
٥. وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نساءه غيري.
٦. وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نساءه غيري.
٧. وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نساءه غيري.
٨. وقبض الله روحه وهو بين سحري ونحري.
٩. ومات بالليلة التي كان يدور عليّ فيها.
١٠. ودفن في بيتي^(١).

هذه بعض فضائل أمنا العفيفة الطاهرة، وإلا فالحديث عن العظماء يحتاج إلى مجلدات، لا يكفي بالغرض مثل هذه الورقات، ولكن يكفيننا أننا زينا ما سطرنا بالثناء على حبيبة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر بعض فضائلها، وقد أحسن القائل:

ولو كان النساءُ كمن فقدنا *** لفضّلت النساءُ على الرجالِ

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦٣/٨-٦٤).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وما التأنيثُ لاسم الشمسِ عيبٌ *** ولا التذكيرُ فخرٌ للهِلالِ^(١).

العلاقة بين عائشة وآل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في روايات الشيعة

العلاقة الحسنة بين أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وعلي بن أبي طالب وزوجته

فاطمة وآل البيت وعلاقتهم بها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعاً من كتب الشيعة:

فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله منه، وما

رأيت امرأة كانت أحب إلى رسول الله من امرأته»^(٢).

وعنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل

علي بن أبي طالب، فقال: «هذا سيد العرب»، فقلت: يا رسول الله أأنت سيد

العرب؟ قال: «أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»، فقلت: وما السيد؟ قال: «من

افترضت طاعته كما افترضت طاعتي»^(٣).

وعنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ذكر علي

عبادة»^(٤).

(١) ديوان المتنبي شرح العكبري (٣ / ١٨)، وأما ابن الشجري ت الطناحي (٣ / ٢٤٢)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري (١٥ / ٩٨).

(٢) انظر: أمالي الطوسي (٢٥٤)، وبحار الأنوار، للمجلسي (٤٠ / ٣٧)، وأعيان الشيعة (١ / ٣٥٤)، ونفحات الأزهار (١٤ / ٣٨١).

(٣) بحار الأنوار، للمجلسي (٣٨ / ٩٣).

(٤) بحار الأنوار، للمجلسي (٣٨ / ١٩٩-٢٠٠).





زاد السائر إلى الله عز وجل

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «زينوا مجالسكم بذكر علي»^(١).

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه علي، فقلت له: يا أبة، أراك تكثر النظر إلى وجه علي؟ فقال: يا بنية، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: النظر إلى وجه علي عبادة"^(٢).

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "لو كان امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة"^(٣).

وروى عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسوء فقام إليه بعمود فضرب به دماغه، فقتله، فقيل له: هذا من شيعتنا ومن بني الآباء، فقال: هذا سمي جدي قرنان^(٤)، ومن سمي جدي قرنان استحق القتل فقتلته"^(٥).

فبهذا النقل يتبين للقارئ الكريم أن الشيعة متناقضون في كلامهم يقولون: بأن عائشة كانت حاكمة مبغضة للإمام علي وأولاده وزوجته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكتب السنة

(١) بحار الأنوار، للمجلسي (٢٠١/٣٨).

(٢) بحار الأنوار، للمجلسي (٢٢٩/٢٦) (٢٠١/٣٨).

(٣) الحجية في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (٤٠١/٢).

(٤) قرنان: على وزن سكران، وهو الذي لا غيره له، قال الأزهرى: هذا قول الليث وهو من كلام الحاضرة ولا يعرفه أهل البادية. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي (٥٠١/٢).

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية (٥٦٨/١).





ومن رمى أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بما برأها الله منه في سورة النور فقد كفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذلك؛ لأنه مكذب بالقرآن لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفكِ عَصَبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ [سورة النور: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿الْخَيْثِثُ وَالْخَيْثِثِينَ وَالْخَيْثِثُ وَالْخَيْثِثُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ [سورة النور: ٢٦]

قال أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللهُ: "إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب" (١).

وقد ساق أبو محمد بن حزم الظاهري رَحِمَهُ اللهُ بِإِسْنَادِهِ إلى هشام بن عمار قال: سمعت مالك بن أنس يقول: من سب أبا بكر وعمر جلد، ومن سب عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟، قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ﴿يَعْظَمُكُمْ اللهُ أَنْ تَعُوذُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ [سورة النور: ١٧].

قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل.

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٣٥).





زاد السائر إلى الله عز وجل

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: "قول مالك ههنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها"^(١). أ.هـ.

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي: "و ضرب الحد في سب عائشة أم المؤمنين"^(٢).

وقال أبو الخطاب ابن دحية في أجوبة المسائل: وشهد لقول مالك كتابُ الله، فإنَّ الله إذا ذَكَرَ في القرآن ما نَسَبه إليه المشركون سَبَّحَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا

أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦]، والله تعالى ذَكَرَ عائشة، فقال: ﴿وَلَوْلَا

إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة

النور: ١٦]، فسَبَّحَ نَفْسَهُ في تنزيه عائشة، كما سَبَّحَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ في تنزيهه؛ حكاها القاضي أبو بكر ابن الطيب"^(٣).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "ومن قذف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، ومن سب غيرها من أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كَسَبٌ واحدٍ من الصحابة، والثاني وهو الصحيح: أنه كقذف عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وعلى هذا فإن من سب واحدة من أمهات المؤمنين يكون كافرًا؛ لأن سبها قدحٌ في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا سيما فيما يعود على دنس الفراش، وفساد

(١) المحلى، للإمام ابن حزم الظاهري (١٣/٥٠٤)، والشفاء، للقاضي عياض (٢/٢٦٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٧).

(٣) الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة (ص: ٢٩).





زاد السائر إلى الله عز وجل

الأخلاق، فإن هذا من أكبر الجرائم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى هذا فنقول: من سب عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أو غيرها من زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يكفر على القول الراجح^(١).

وغير ذلك من الأقوال التي تبين خطر الكلام في الصحابة عموماً وخطر قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، اقتصرنا على الأقوال المتقدمة حرصاً على الاختصار فما قل وكفى خير مما كثر وأهمل، والذي يؤمن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يكفيه دليل واحد من القرآن أو من السنة على براءتها.

أسأل الله الكريم رب العرش الكريم أن يهدي ضال المسلمين وأن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وأسأله أن ينفعنا بما قلنا وينفع به من قرأه أو اطلع عليه، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الكرام الأبرار وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٤ / ٤٣٨).



الخاتمة

وفي ختام هذا الكتاب، فإن هذه المقالات المتفرقة يجمعها مقصد واحد، وتتنظمها غاية واحدة، وهي تذكير القلوب بربها جَلَّ وَعَلَا، ودلالاتها على طريق النجاة، وتنبهها إلى ما ينفعها في دنياها وآخرتها.

فقد اشتمل هذا الكتاب على جملة من المعاني التي يحتاج إليها كل مسلم؛ من ذكر مختصر لمعتقد أهل السنة والجماعة، وبيان ما يجب على المسلم اعتقاده، وبيان أهمية التسليم للوحيين، والتمسك بالكتاب والسنة، والسير على منهج السلف الصالح، وذكر الأسباب التي تعين العبد على الثبات على دين الله في زمن كثرت فيه الفتن والشبهات.

كما اشتمل على ما يصلح القلوب ويزكي النفوس، من التذكير بمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيم شأن القرآن الكريم، والتوكل عليه سبحانه، والرجاء في رحمته، وعدم القنوط من مغفرته، مع التذكير بحقيقة الدنيا وسرعة زوالها، وأنها دار ممر لا دار مقر.

وفيه كذلك حثٌّ على اغتنام الأوقات والمصارعة إلى الطاعات، فإن الأيام تمضي مسرعة، والليالي تتتابع، والعمر قصير، والسعيد من اغتنم عمره فيما يقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.





زاد السائر إلى الله عز وجل

كما تضمنت هذه المقالات بعض التنبيهات التربوية التي يحتاج إليها المسلم في حياته، ليكون على بصيرة من أمره، مستمسكاً بدينه، حريصاً على سلامة قلبه وصلاح عمله، مقتدياً في ذلك بهدي الكتاب والسنة وسير السلف الصالح.

والمقصود من هذا الكتاب التذكير لا الإحاطة، والتنبيه لا الاستقصاء؛ فإن القلوب تحتاج بين حين وآخر إلى من يوقظها من غفلتها، ويذكرها برها عزَّجَلَّ، ويرشدها إلى طريق الهدى.

فحريٌّ بالعبد أن يجعل كتاب الله جلا جلاله إمامه، وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقه، وأن يعتني بإصلاح قلبه ومحاسبة نفسه، وأن يغتنم ما بقي من عمره؛ فإن ما مضى من الأيام لن يعود، وما بقي منها هو رأس مال العبد في هذه الدنيا.

وأسأل الله الكريم أن يجعل هذه الورقات خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها، وأن يجعلها سبباً في صلاح القلوب، والثبات على الحق، والنجاة يوم يلقاه العبد.

وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله سبحانه وحده، وهو سبحانه أهل الفضل والمنة، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وأسأل الله أن يغفر الزلل، وأن يتجاوز عن التقصير.





زاد السائر إلى الله عز وجل

كما أسأله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وأن يرزقنا
العلم النافع والعمل الصالح، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

١	مقدمة
٤	الباب الأول: أصول الهداية والثبات على الدين
٤	متن مختصر في عقيدة أهل السنة والجماعة
١٣	التسليم للكتاب والسنة أصل من أصول السلف
١٧	الطريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٢٤	جُرأة الجاهلين على الوحيين
٣٠	خطوات عملية للثبات على عقيدة السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
٤١	سلسلة وسائل الثبات على دين الله
٤١	(١) تحقيق التوحيد الخالص لله جَلَّ وَعَلَا
٤٣	(٢) الصدق مع الله عَزَّجَلَّ
٤٦	(٣) طلبُ العلم الشرعي والتفقه في دين الله على الثقات من أهل العلم
٥١	(٤) قراءة القرآن وحفظه وتدبره والعمل به
٥٥	(٥) الابتعاد عن الشبهات والشهوات
٦٠	(٧) الإكثار من ذكر الله عَزَّجَلَّ
٦٦	(٨) المحافظة على الأذكار اليومية (حصن نفسك)
٧٢	(٩) الإكثار من الدعاء لله عَزَّجَلَّ والاستعانة به
٧٥	(١٠) الزهد في الدنيا وزخرفها، ومصاحبة الصالحين
٧٨	الباب الثاني: تزكية القلوب وإصلاح النفوس
٧٨	غذاء القلوب ودواؤها





- مراقبة الخالق عزَّجَلَّ في الحركات والسكنات ٨٣
- التوكل على الله عبادة قلبية ٨٦
- الله لطيف بعباده ١١٤
- مهما عظم ذنبك فأبشر ١٢٦
- اجعل القرآن زادك إلى الآخرة ١٣٢
- وقفات مع آية (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) ١٣٥
- إياك وفاكهة المجالس (الغيبة) ١٥٣
- لا تشغل بحطام زائل ١٦٠
- حقيقة الدنيا في آية من كتاب الله ١٦٢
- الخوف من سرعة مرور الأيام والليالي ١٧٠
- الباب الثالث: اغتنام الأوقات والمصارعة في الطاعات ١٧٧
- كيف تستعيد البركة في وقتك؟ وصية عملية ١٧٧
- المصارعة في الطاعات واجتهاد السلف ١٨٦
- اغتنام العشر الأخيرة ١٩٤
- سرعة الأيام واغتنام ما بقي من رمضان ٢٠٠
- الغاية من عبادة الصيام ٢٠٤
- الباب الرابع: مقالات تربوية وتنبهات ٢٠٦
- تنبيهات مهمة لكل كاتب ٢٠٦
- تمهل قبل أن تكتب ٢١٠
- سؤال لمن يهنئ النصرارى بعيد ميلادهم ٢٢١





زاد السائر إلى الله عز وجل

- العلاج سبب للشفاء وتطبيب لنفس المريض ٢٢٤
- الفرق بين الطيب والذباب ٢٣٠
- العفيفة الطاهرة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ٢٣٥
- الخاتمة ٢٥٨
- فهرس الموضوعات ٢٦١





هذا الكتاب مجموعة من المقالات الإيمانية والتربوية التي تعالج قضايا يحتاجها المسلم في حياته، من إصلاح القلب، وتقوية الصلة بالله عزَّوجلَّ، والثبات على منهج الكتاب والسنة، والسير على طريق السلف الصالح.

وقد تناولت هذه المقالات موضوعات متنوعة، كاسباب الثبات على الدين، واغتنام الأوقات، والمشاركة في الطاعات، والتحذير من الخفلة والانشغال بزخارف الدنيا، مع التذكير بعظمة القرآن الكريم، وضرورة تعاهد القلب بالمراقبة والذكر والدعاء.

والمقصود منها التذكير والوعظ والإرشاد، بأسلوب مختصر قريب، يوقظ القلب من غفلته، ويحث النفس على اغتنام العمر قبل فواته.

نسأل الله عزَّوجلَّ أن يجعل هذه الكلمات نافعة لقارئها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلها سبباً في إصلاح القلوب والثبات على دينه.

